بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفّقنا معاشر الماتُريدية لتدقيق العقائد الإسلامية، وكرّمنا مفاخر الحنفية لتدقيق المباحث الكلامية، والصلاة والسلام على رسولنا محمد، المؤيد بالبراهين الإلهية، وعلى آله، وأصحابه المتّصفين بالكمالات.

أما بعد: فإن هذا الكتاب كنزٌ من كنوز الإسلام لمؤلف مفتي الثقلين أبي حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي، رحمه الله. هذا الكتاب منذ تألفه إلى يومنا هذا كان نموذج لصحة الاعتقاد، فإنني أضعف عباد الله، أريد أن أكون ناقلًا وخادمًا لهذا الكتاب.

أنا العبد الفقير إلى الله مقْصَد أَوِيزُوفْ المَرْوَزي، أخذتُ هذا المتن بإجازة و حفظْته على سند متصل إلى صاحب المتن نجم الدين النسفي رحمه الله عن الأستاذ أحمد أبي يحيى الحنفي القازاني حفظه الله تعالى عن المفتي أبي علي عبد الرشيد بن أسيلدار الأشعري الحنفي الداغستاني حفظه الله تعالى عن شيخه المفتي حسين كدوديا عن الشيخ محمد مرشد عابدين الحنفي رحمه الله عن العلامة أبي الخير عابدين عن الشيخ أحمد عبد الغاني عن الإمام العلامة محمد أمين بن عابدين الحنفي عن شيخه محمد شاكر العَقَّاد عن الشيخ محمد التافلاتي، عن شيخه الشمس محمد بن سالم الحنفي، عن شيخه محمد البُدَيْرِي، عن البرهان إبراهيم الكُوْراني، عن العارف صفي الدين أحمد بن محمد المدني، عن الشمس محمد الرملي، عن القاضي

زكريا الأنصـاري، عن الحافظ بن حجر العَسْـقَلاني، عن الصَّـلاح بن أبي عمر، عن الفَخْر بن البُخَارِي، عن أبي المُظَفَّر عبد الرحيم بن عبد الكريم السَّـمْعَاني، عن والده، عن أبي حفص عمر بن محمـد بن أحمـد النســـفي رحمـه الله ، الـذي أخـذ العلوم الشـرعية عن كثير من المشـائخ، منهم عن أبي اليسـر البزدوي عن جده عبد الكريم البزدوي عن أبي منصـــور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي الســـمرقندي رحمه الله، الذي أخذ العلوم الشـرعية عن كثير من المشـائخ، منهم عن أبي بكر أحمد بن إسـحاق الجوزجاني عن أبي سـليمان موسى بن سـليمان الجوزجاني عن أبي يوسف ومحمد عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا بن مرزُبان الكوفي رضي الله عنهم، النعمان بن ثابت أخذ العلوم الشـرعية بالسـلسـلة الذهبية عن حمّاد بن أبي سـليمان عن إبراهيم النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مســعود رضــي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد وجدتُ هذا المذهب العقدي منقولًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا تحريف لأن كتب العلماء من هذه الســلســـلة محفوظة، والمباحث العلمية حول المخطوطات أظهرت صـحة نسـبتها إليهم، منها مثلاً: كتاب "الفقه الأكبر" عن حمّاد، و"كتاب الوصــية" من مصــنفات أبي حنيفة رحمه الله، و"بيان عقيدة أهل الســـنة والجماعة" للطحاوي، و"كتاب التوحيد" للماتريدي، و"تأويلات أهل السنة" وغيرهم. وكلنا نســـتطيع أن نقرأها الآن، و واحد من هـذه الكتـب بين أيدكم، هذا الكتاب مسـمى: بـــ"أصـول الدين على اعتقاد المهتدين" الذي هو الباب الأول من موسـوعة

تسمى: بـــ"مطلع النجوم ومجمع العلوم"، التي الّفها نجم الدين النسفي رحمه الله. هذا الكتاب كان واحدًا من الكتب التي أجمعت عليها الأمة الإســـلامية، وهذا الكتاب مشهور باسم "العقائد النسفية".

ومحتمل أن هذا الكتاب كان أكثر قراءةً في عصـــر علماء الخلف في العالم الإسلامي من الهند إلى المغرب، ومن مكة إلى قازان. وكُتبتْ شروح أو تعليقات على هذا الكتاب بعدد أكثر من ثمانين كتابًا. بلا شـك هذا يظهر صـحة الاعتقاد في هذا الكتاب و رضـاء الله بهذا الكتاب، كما أشـار حديث شـريف على ذلك: "إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة"[1].

نص الكتاب مأخوذ من مخطوط تحت رقم: ١٤٦٢ من مكتبة معهد أبي ريحان البيروني للدرسات الشرقية. في يوم ١٣ من شعبان ١٤٤٠ هـــ الموافق ١٨ أبريل ٢٠١٩ مـ أثناء أحد اللقاءات طلبتُ صورًا لأقدم مخطوطات "العقائد النسفية" من مستشار سفارة جمهورية أوزبكستان السيد دَنِيَار عابِدُوفْ، رحمه الله. بعد عدة مكالمات أرسل السيد دنيار إلى أوزبكستان رسالة رسمية لطلب صور للمخطوط، و بعد شـهرين تقريبًا أرسل إليَّ من أوزبكستان السيد عبد اللطيف الَّاقولوف صورًا من هذا المخطوط، و أسأل الله أن يتقبل منهم، ويجزيهم خير الجزاء.

[1] الترمذي، رقم الحديث ٢١٦٧ و ابن ماجه، رقمه ٣٩٥٠ و احمد في المسند ج ٥ ص ١٤٥ و الدارمي في سننه ج ١ ص ٢٩ و أبو داود ج ٤ ص ٤٥٢ و السيوطي في الجامع الصغير رقمه ١٨١٨، حديث حسن

هذا المخطوط كان مكتوبًا على يد كاتبين في مدينة سمرقند، أحدهما محمد بن حامد بن علي، الملقب شـــرف الحامدي البخاري، وبدأ كتابة هذا المخطوط في سنة ٧٦٤ هـ، وفرغ منها في باب الكتاب "مشارع الشرائع" في سنة ٧٦٥ هـ.

و الكاتب الثاني محمد بن محمد بن حسين الأسـمِيتَني، الملقب نجم الدين الكومنر، وانتهت كتابة هذه النسـخة في عام ٧٦٦ هـــ. وكلاهما نسـخا هذا المخطوط من النســخة الذي كُتبتْ بإملاء الشـــيخ نجم الدين النســفي رحمه الله، كما كتب في المخطوط.

كتب الكاتب الثاني: "تم كتاب الخطب بعد عناء وتعب، رزق الإله لمن طلب العلم والأدب، على يد أضـعف عباد الله وأفقرهم محمد بن محمد بن حسـين الأســمِيتَني، وقت الظهيرة يوم الخميس الحادي والعشــرين، من شــهر الله المبارك رجب، سـنة خمس وستين وسبعمائة، من نسخة التي كتبت [من] تلك النسخة من إملاء الشـــيخ الأجل، الأســتاذ نجم الملة والدين رضـي الله عنه، يوم الخميس بين الرواح في السـابع والعشـرين، في بلده سـمرقند، حرسـها الله تعالى عن الآفات، في مسـجد مولانا الأجل الأسـتاذ، وهو مسـجد سـكة اللباد، من سـنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة" [٢].

وكما ظهر الآن أن هذا الكتاب فرصـــة نادرة لقراءة النص المكتوب بإملاء صـاحب المتن الشـيخ الأجل نجم الملة والدين، أبي حفص عمر بن محمد بن أحمد

[٢] أنظر لوحة ٢٢٧ من النسخة

النسـفي رحمه الله، وهذا الكتاب واحدٌ من كتب سـلسلة العلماء الحنفية في العقيدة، المحفوظ من التحريف، كما أصبح واضحًا الآن.

صورة لـــ"ـــمسجد عمر" أو "مسجد كَبُودْ" بالفرسية، وهو المسجد الذي أملى فيه الشيخ النسفي، رحمه الله، هذا المتن المبارك الذي بين أيديكم [٣].

كذلك يجب أن نلحظ: أن أهمية هذا المتن أنه كان مقبولًا عند المســـلمين منذ وقت تأليفه بأمر الســـلطان معز الدين أبي الحارث أحمد سَـنْجَر بن مالكشَـاه الســـلجوقي التركماني، رحمه الله، كما ذكر في مخطوط مكتوب بخط خواجه محمد بارسا، رحمه الله، باللغة الفارسية: "وسبب اين جمع ان بود كه در عهدى كه سلطان أعظم سَـنجر ابن مالكشـاه رحمه الله" [٤]، يعني: لما فتح سـمرقند أمر سـنجر أن

[٣] أنظر: "سمريّه در بيان اوصاف طبيعي ومزارات سمرقند" لأبي طاهر خواجه سمرقندي، بالفرسية. ذكر المؤلف أن بناه النسفي.
[٤] ذكر في المخطوط "بيان اعتقاد أهل سنت و جماعت" تحت رقم :١٣٦١٣-١١ وروي هذا النص عن الشيخ علي بن أبي بكر الرشداني المعروف بالمرغناني، تلميذ عمر النسفي، وتمت كتابة النسخة في عام ٧٩٥ هـ

يكتب علماء سمرقند كتابًا في اعتقاد أهل السنة والجماعة، الذي يكون نموذجًا لصحة عقيدة السُنية في عصره. وكتب أبو حفص هذا الكتاب باللغة الفارسية المسمى: بـ"بيان اعتقاد أهل سنت و جماعت". ثم كتبه بالعربية الذي يسمى بـ"أصول الدين على اعتقاد المهتدين".

وأجمع علماء سمرقند على صحة هذه العقيدة، ووضعوا في نهاية كتاب أبي حفص الخواتم الشخصية، كما ذكر في المخطوط "بيان اعتقاد أهل سنت و جماعت" تحت رقم :١٣٦١٣-١١ في مكتبة مجلس شورای الإسلامي إيران.

لقد رأينا المكانة العالية لهذا الكتاب في الفكر الإسلامي وتراثه، ولذلك أردتُ أن أكتب تعليقات على هذا المتن استدلالاً بالنقل والعقل، لِيكون هذا شرحًا صغيرًا لعقيدة أهل السنة والجماعة، مؤيدًا بالنصوص القطعية وبالبراهين العقلية وفقًا قواعد مذهب الماتريدي، وليكون ذلك تبليغًا للأدلة النقلية والعقلية و لحصول على الإيمان الاستدلالي وخروجًا عن الإيمان التقليدي.

والله وحيد مَنْ أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجًا، فأسأله أن يغفر لي أخطائي، و بالله التوفيق.

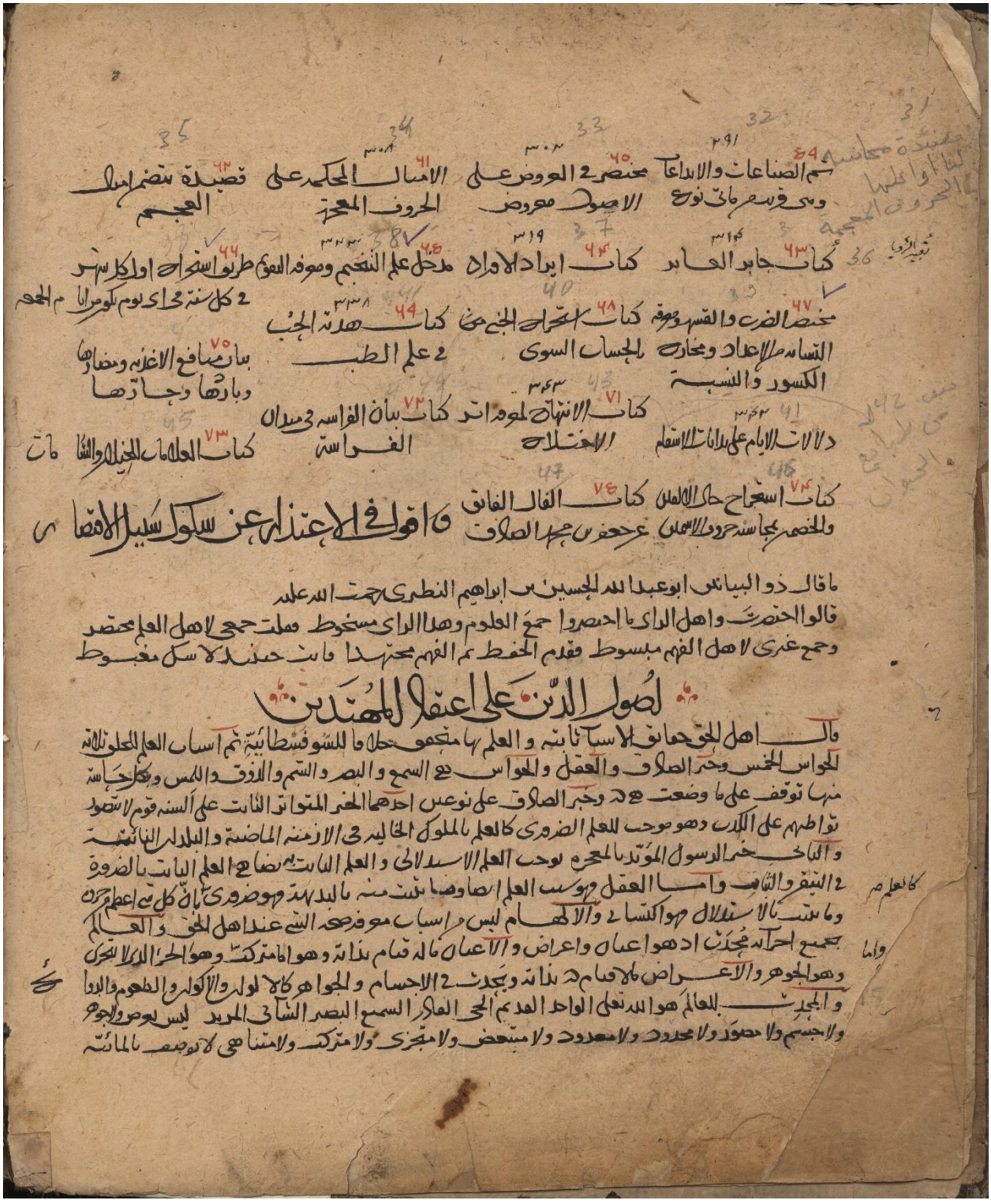

صورة من المخطوط – ورقة ٢ ب

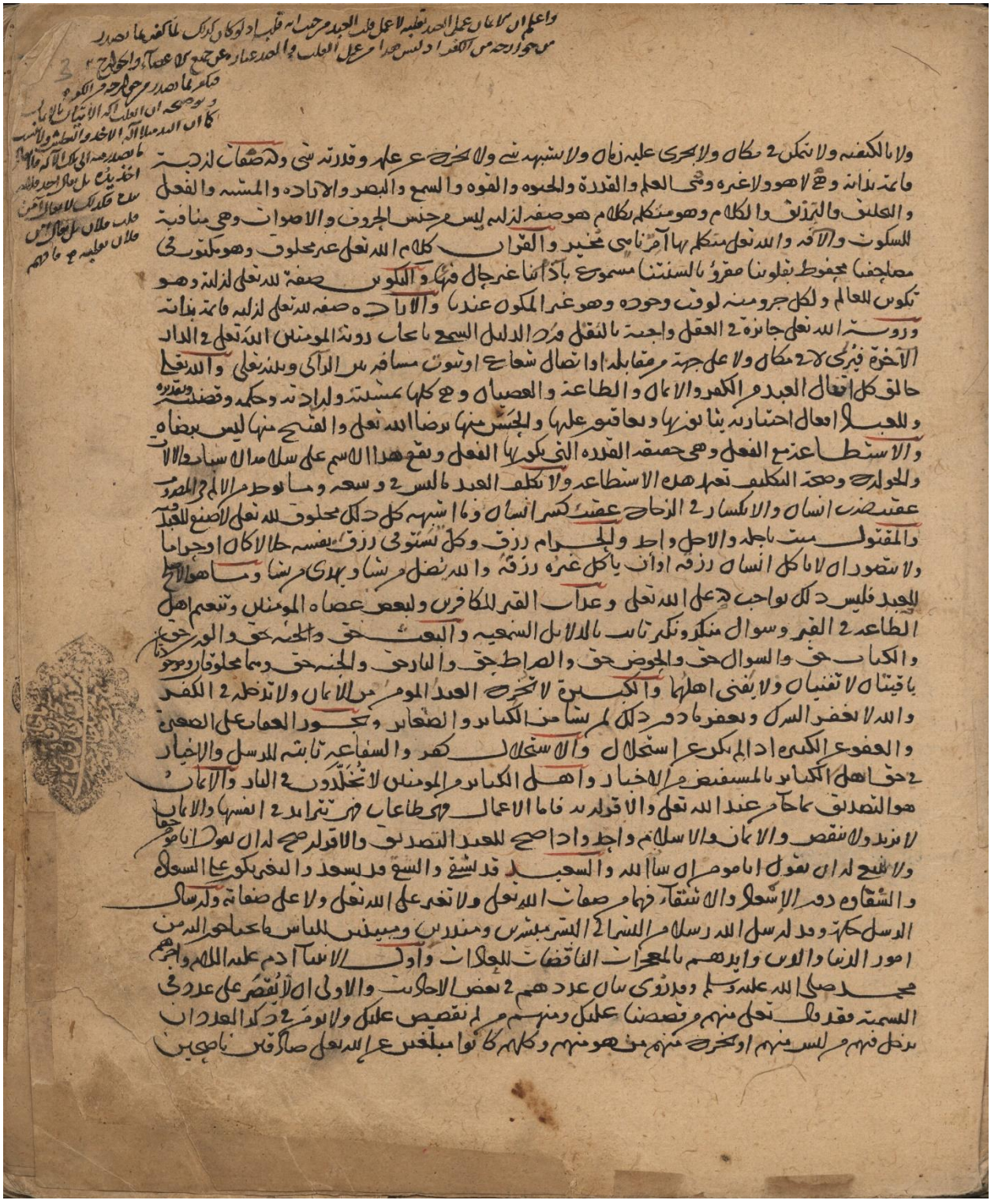

صورة من المخطوط – ورقة ١٣

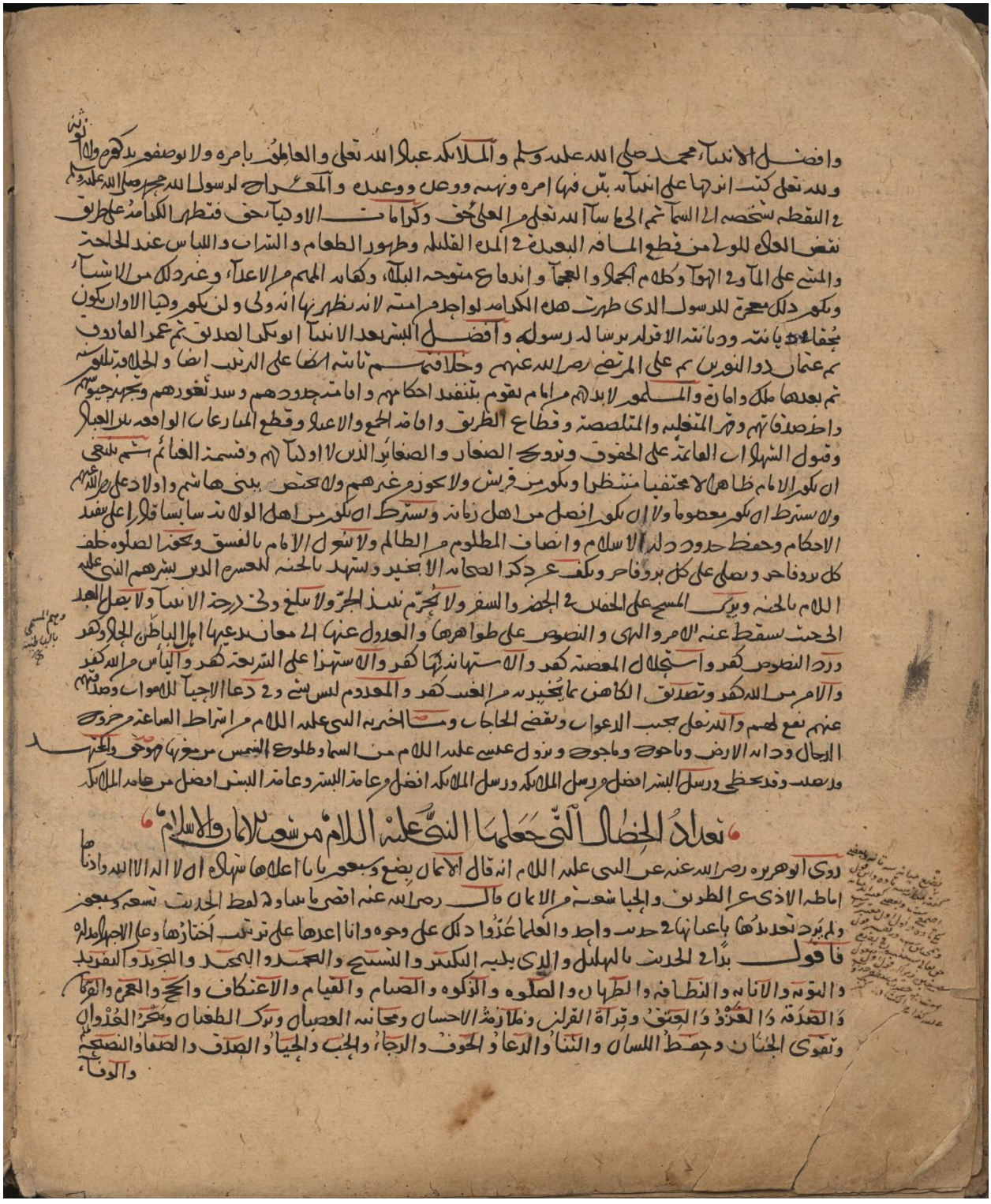

صورة من المخطوط – ورقة ٣ ب

متن أصول الدين على اعتقاد المهتدين

{سطر ١} قال أهل الحق: حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق خلافًا للسوفسطائية. ثم أسباب العلم للخلق ثلاثة: {٢} الحواس الخمس، وخبر الصادق، والعقل. والحواس هي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، وبكل حاسة {٣} منها توقف على ما وضعت هي له. وخبر الصادق على نوعين، أحدهما: الخبر المتواتر الثابت على ألسنة قومٍ لا يتصور {٤} تواطئهم على الكذب، وهو موجب للعلم الضروري، كالعلم بالملوك الخالية في الأزمنة الماضية، والبلدان النائية {٥}. والثاني: خبر الرسول، المؤيد بالمعجزة يوجب العلم الاستدلالي. والعلم الثابت به يضاهي العلم الثابت بالضرورة {٦} في التيقن والثبات. وأما العقل: فهو سبب للعلم أيضًا، وما ثبت منه بالبديهة فهو ضروري بأن كل شيء أعظم من جزئه {٧}، وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابي. والإلهام ليس من أسباب معرفة صحة الشيء عند أهل الحق. والعالم {٨} بجميع أجزائه مُحْدَثٌ، إذا هو أعيان، وأعراض. والأعيان:

مالهُ قيام بذاتهِ، وهو إما متركبٌ، وهو الجزء الذي لايتجزئ {٩}، وهو الجوهر. والأعراض:

ما لا قيام لهُ بذاتهِ، ويَحدث في الأجسام والجواهر كالألوان، والأكوان والطعم و[الروائح

(على الهامش)] {١٠} والمحدِث للعالم هو اللهُ تعالى الواحد، القديم، الحي، القادر، السميع،

البصير، الشائيَ المريد، ليس بعرض، ولا جوهر، {١١} ولا جسم، ولا مصَوَّر، ولا محدود، ولا معدود،

ولا متبعض، ولا متجزي، ولا متركبٌ، ولا متناهي، ولا يُوصف بالمائية، [ورق ١٣] ولا بالكيفية،

ولا يتمكن في مكان، ولا يجري عليهِ زمان، ولا يشبههُ شيء، ولا يخرج عن علمهِ وقدرتهِ

شيء، ولهُ صفات أزلية {٢} قائمة بذاتهِ. وهي لا هو، ولا غيرهُ، وهي: العلم، والقدرة،

والحياة، والقوة، والسمع، والبصر، والإرادة، والمشيئة، والفعل، {٣} والتخليق، والترزيق،

والكلام، وهو متكلم بكلام هو صفة أزلية ليس من جنس الحروف والأصوات، وهي منافية

{٤} للسكوت والآفة، واللهُ تعالى متكلم بها آمر ناهٍي، مُخبر. والقرآن: كلام اللهِ تعالى غير

مخلوق، وهو مكتوب في {٥} مصاحفنا، محفوظ بقلوبنا، مقرؤٌ بألسَنتِنا، مسموع بآذاننا، غير حال

فيها. والتكوين: صفة للهِ تعالى أزلية، وهو {٦} تكوين للعالم، ولكل جزء منه لوقت وجوده، وهو غير المكَوَّن عندنا. والإرادة: صفة للهِ تعالى أزلية، قائمة بذاته. {٧} ورؤية اللهِ تعالى جائزة في العقل، واجبة بالنقل، ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين للهِ تعالى في الدار {٨} الآخرة، فيُرى لا في مكان، ولا على جهة من مقابلة، أو اتصال شُعاعٍ، أو ثبوت مسافة بين الرائي وبينه تعالى. واللهِ تعالى {٩} خالق كل أفعال العبد من الكفر، والإيمان، والطاعة، والعصيان، وهي كلها بمشيئته وإرادته، وحكمه، وقضيته، وتقديره. {١٠} وللعباد أفعال اختيارية يُثابون بها، ويُعاقبون عليها. والحسن منها برضا اللهِ تعالى، والقبيح منها ليس برضاه. {١١} والاستطاعة مع الفعل وهي: حقيقة القدرة التي يكون بها الفعل. ويقع هذا الاسم على سلامة الأسباب، والآلات، {١٢} والجوارح، وصحة التكليف تعتمد هذه الاستطاعة. ولا يكلف العبد ما ليس في وسعه، وما يُوجد من الألم في المضروب {١٣} عقيب ضرب إنسان، والإنكسار في الزجاج عقيب كسر إنسان، وما أشبهه، كل ذلك مخلوق للهِ،

لا صُنع للعبد فيه. {١٤} والمقتول ميت بأجله، والأجل واحد. والحرام رزق، وكلٌ يستوفي رزق نفسه حلالًا كان أو حرامًا، {١٥} ولا يُتصور أن لا يأكل إنسان رزقه، أو أن يأكل غيره رزقه. والله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء. وما هو الأصلح {١٦} للعبد فليس ذلك بواجب له على الله تعالى، وعذاب القبر للكافرين وبعض عُصاةِ المؤمنين، وتنعيم أهل {١٧} الطاعة في القبر، وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية. والبعث حق، ~~والجنة حق~~، والوزن حق، {١٨} والكتاب حق، والسؤال حق، والحوض حق، والصراط حق، والنار حق، والجنة حق، وهما مخلوقان، وموجودتان، {١٩} باقيتان، لا تفنيان، ولا يَفنى أهلهما. والكبيرة لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان، ولا تدخله في الكفر. {٢٠} والله لا يغفر الشرك، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الكبائر، والصغائر. ويجوز العقاب على الصغيرة، {٢١} والعفو عن الكبيرة، إذا لم يكن عن إستحلال، والإستحلال كفر. والشفاعة ثابتة للرسول والأخيار {٢٢} في حق أهل الكبائر بالمستفيض من الآخبار. وأهل الكبائر من المؤمنين لا يُخَلَّدون في النار.

والإيمان: {٢٣} هو التصديق بما جاء من عند الله تعالى، والإقرار به. فأما الأعمال: فهي طاعات، فهي تتزايد في أنفسها. والإيمان {٢٤} لا يزيد، ولا ينقص. والإيمان والإسلام واحد. وإذا صح للعبد التصديق والإقرار، صح له أن يقول: أنا مؤمن حقًا، {٢٥} ولا ينبغي له أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. والسعيد قد يشقى، والشقي قد يسعد، والتغير يكون على السعادة {٢٦} والشقاوة، دون الإسعاد والإشقاء، فهما من صفات الله تعالى، ولا تغير على الله تعالى، ولا على صفاته. وإرسال {٢٧} الرسل حكمة، وقد أرسل الله رُسُلًا من البشر إلى البشر مبشرين، ومنذرين، ومبينين للناس ما يحتاجون إليه من {٢٨} أمور الدنيا والدين، وأيَّدهم بالمعجزات الناقضات للعادات. وأول الأنبياء آدم عليه السلام، وآخرهم {٢٩} محمد صلى الله عليه وسلم. وقد روي بيان عددهم في بعض الأحاديث، والأولى أن لا يُقتصر على عدد في {٣٠} التسمية، فقد قال تعالى: {منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك}، ولا يؤمن في ذكر العدد أن {٣١} يدخل فيهم من ليس

منهم، أو يخرج منهم من هو فيهم، وكلهم كانوا مبلغين عن الله تعالى، صادقين ناصحين،

[ورق ٣ ب] وأفضل الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم. والملائكة عباد الله تعالى

العاملون بأمره، ولا يُصفون بذكورة ولا أنوثة. {٢} ولله تعالى كتبٌ أنزلها على أنبيائه، بيَّن

فيها أمره ونهيه، ووعده ووعيده. والمعراج لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

{٣} في اليقظة، بشخصه إلى السماء، ثم إلى ما شاء الله تعالى من العُلى حق. وكرامات

الأولياء حق، فتظهر الكرامة على طريق {٤} نقض العادة للوَليّ من قطع المسافة البعيدة في

المُدة القليلة، وظهور الطعام، والشراب، واللباس عند الحاجة، {٥} والمشي على الماء، وفي

الهواء، وكلام الجماد والعجماء، واندفاع متواجه البلاء، وكفاية المهم من الأعداء، وغير ذلك

من الأشياء. {٦} ويكون ذلك معجزة للرسول، الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من

أمته لأنه يظهر بها أنه ولي، ولن يكون ولياً إلا وأن يكون {٧} مُحقًا في ديانته، وديانته إقرار

برسالة رسوله. وأفضل البشر بعد الأنبياء أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، {٨} ثم عثمان

ذو النورين، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم. وخلافتهم ثابتة على هذا الترتيب أيضًا.

والخلافة ثلاثون سنة، {٩} ثم بعدها ملكٌ وإمارةٌ. والمسلمون لا بد لهم من إمامهم، يقوم بتنفيذ أحكامهم، وإقامة حدودهم، وسد ثغورهم، وتجهيز جيوشهم، {١٠} وأخذ صدقاتهم، وقهر المتغلبة والمتلصصة وقُطّاع الطريق، وإقامة الجمع والأعياد، وقطع المنازعات الواقعة بين العباد، {١١} وقبول الشهادات القائمة على الحقوق، وتزويج الصغار، والصغائر الذين لا أولياء لهم، وقسمة الغنائم. ثم ينبغي أن يكون الإمام ظاهرًا، ولا مختفياً منتظرًا، ويكون من قريش، ولا يجوز من غيرهم، ولا يختص ببني هاشم، وأولاد علي رضي الله عنهم. {١٢} ولا يُشترط أن يكون معصومًا، ولا أن يكون أفضل من أهل زمانه. ويُشترط أن يكون من أهل الوِلاية، سائساً قادراً على تنفيذ الأحكام، وحفظ حدود دار الإسلام، وإنصاف المظلوم من الظالم. ولا ينعزل الإمام بالفسق، ويجوز الصلوة خلف {١٣} كل بر وفاجر، ويُصلى على كل بر وفاجر. ويكف عن ذكر الصحابة إلا بخير، ونشهد بالجنة للعشرة الذين بشرهم النبي عليه {١٤} السلام بالجنة.

ويُرى المسح على الخفين في الحضر والسفر، ولا نحرِّم نبيذ الجر، [التمر] ولا نبلغ بولي درجة الأنبياء، ولا يصل العبد {١٥} إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهيُ. والنصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد وكفر، {١٦} ورد النصوص كفر، وإستحلال المعصية كفر، والإستهانة بها كفر، والإستهزاء على الشريعة كفر، واليأس من الله كفر، {١٧} والأمن من الله كفر، وتصديق الكاهن بما يخبر عن الغيب كفر. والمعدوم ليس بشيء، وفي دعاء الأحياء للأموات، وصدقتهم {١٨} عنهم نفع لهم، والله تعالى يجيب الدعوات، ويقضي الحاجات. وما أخبر به النبي عليه السلام من أشراط الساعة من خروج {١٩} الدجال، ودابّة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها هو حق والمجتهد {٢٠} قد يصب، وقد يخطي ورسل البشر أفضل من رسل الملائكة، ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر، وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة.

شرح أصول الدين على اعتقاد المهتدين

[ورق ٢ ب] أصول الدين على اعتقاد المهتدين

{سطر١} قال أهل الحق: حقائق الأشياء ثابتة

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ { التغابن ٣}، و قال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَاطِلاً﴾ { آل عمران ١٩١}، إن السموات والأرض تشمل سائر المخلوقات كالناس، والحيوان، والنبات، والجبال، والأحجار، وغيرهم. وأشار عز وجل أن كلاً من هذه المخلوقات مخلوقة بالحق، يعني: الحق موجود في كل من هذه المخلوقات، وبذلك الوجود يُثبت الحقائق لكل من الأشياء. وبالعكس: ما خلق الله شيئاً بالباطل كما ذكر في الآية الثانية.

العقل: حقيقة: هي — كون شيءٍ بما هو. ويثبت هذا بثبات أحد من وجهين: إما شيء موجود، وإما هذا الشيء معدوم، فإن كان موجودًا فيكون اتصال سائر المخلوقات الموجودة بهذا الشيء ممكنًا، وإن كان معدومًا فيكون اتصال سائر المخلوقات بهذا الشيء مستحيلًا، لأن الاتصال بالمعدومِ معدومٌ. فإن كان هذا الشيء موجودًا فيكون الاتصال به موجودًا أيضًا، وهذا الاتصال يثبت جهات وجودية لهذا الشيء، وهذه الجهات هي حقائقه.

والعلم بها متحقق

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ { البقرة ٣١}، يخبر عز وجل أنه علّم آدم العِلم عن كل شيء لأن اسم الشيء يشمل حقيقة هذا الشيء، بواسطتها يتفرق عن سائر الأشياء. وهذه الآية تشهد إمكانية حصول العلم المتحقق عن حقائق الأشياء.

العقل: كما ذكرنا سابقًا، الاتصال بشئين موجودين ممكن لأنهما متساويان في وجودهما. فإن كان الشيئان موجودان، فيكون الاتصال بينهما موجودًا. وحقيقة الشيء تثبت بثبات حاله: إما يكون حاله موجودًا، وإما يكون معدومًا. فإن كان حاله موجودًا فحقيقته موجودة أيضًا. وإنْ حقيقة موجودة فهي معلومة، لأنها متساوية للعلم الذي موجود في الخارج.

خلافًا للسوفسطائية

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله: ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ { الصافات ١٧٩}، أثبت الله أن الكفار سوف يحصلون على العلم بالبصر. زعمت السوفسطائية بعدم إمكانية الحصول

على علم متحقق عن حقائق الأشياء، وتنقسم السوفسطائية إلى ثلاث فرق، وهم العنادية: حيث زعموا بأن الحصول على العلم المتحقق مستحيل، لأن العالم غير موجود في الخارج ولا يوجد إلا في أذهان الناس، ولكن يثبتون رأيهم إلا بإثباته في الخارج. والعندية: قد زعموا بأن العلم بالأشياء يختلف من شخص إلى شخص آخر، وكل من هذه العلوم متحقق، حيث فلان يثبت على الحق أنه الباطل، والثاني يثبت على الباطل أنه الحق، وكلاهما على الحق عندهم، ومن الضرورة مفهوم أنه لا يجوز أن يكون شيء في حال واحد وفي وقت واحد موجودًا ومعدومًا. والفرقة الثالثة اللاأدرية: الذين لا يعلمون هل هم يعلمون أم لا، وفسادهم يستند على خطأ العندية أيضًا.

العقل: كما ذكرنا سابقًا الاتصال بشيءٍ موجودٍ ممكن، وعدم إمكانية حصول العلم بالأشياء يمكن بطريق واحد، وهو انقطاع الاتصال بالحد بين الأشياء، وإن حذف هذا الحد فيفتح طريق الاتصال بين الأشياء.

ثم أسباب العلم للخلق ثلاثة: {٢} الحواس الخمس، وخبر الصادق، والعقل. والحواس هي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وبكل حاسة {٣} منها توقف على ما وضعت هي له.

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ { النحل ٧٨}، قال الله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ { الصافات ١٧٩}، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ { الإسراء ٣٦}.

أثبت الله أن الحواس كالسمع والبصر مسؤولة عن ما حصلوا من العلم.

العقل: كلنا نتصل بالأشياء بواسطة الحواس المذكورة، و الاتصال بشكل أو بلون الأشياء يجري بواسطة البصر، و الاتصال بالأصوات يجري بالسمع، وكذا على سائر الجهات الوجودية. وعدم اتصال البصر بشكل الأشياء يمكن بعدم البصر، أو بعدم الشيء، أو بحد بينهما، وكل من هذه الانقطاعات هي من أنواع العدم، فإن هي ليست معدومةً فَيكون الاتصال صحيحًا، لأن المتصلان متساويان في وجودهما.

وخبر الصادق على نوعين، أحدهما: الخبر المتواتر الثابت على ألسنة قومٍ، لايتصور{٣} تواطئهم على الكذب، وهو موجب للعلم الضروري، كالعلم بالملوك الخالية في الأزمانة الماضية، والبلدان النائية.

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ { الحجرات ٦}

يخبر الله تعالى: إن جاء فلان بخبر يجب للناس أن يبحثوا في صحة هذا الخبر، ولن

يكون الخبر صحيحًا برواية واحدة وإن كان عن الثقات، لأن كل واحد من كل طبقة السند ليس معصومًا، وتبقى إمكانية وقوعه في الخطاء، أو في تحريف الخبر، عمدًا أم لا. فلذلك وجبت كثرة الروايات والأسانيد، وهذه الكثرة تسمى بالتواتر. الإيمان بما جاء به الخبر المتواتر أو المشهور - فرض، وأما قبول الخبر الواحد فالإيمان به واجب، ومَن ترك الخبر الواحد أصبح فاسقًا، و مَن ترك المتواتر أو المشهور أصبح كافرًا.

العقل: كما بيّنا سابقًا الخبر من رجل واحد لن يكون متحققًا و لا يكون علمًا بل لا يفيد إلا غلبة الظن، لأن كل إنسان يعيش في اختيار بين الخير والشر، أو بين التيقظ والسهو. ولن يقع هذا الخبر في التحريف إنْ كان عدد الرواة كثيرًا في كل طبقات السند، ويجب أن تكون هذه الكثرة من الثقات، وأن يكون متحصلًا بالحواس المذكورة، ولا أن يكون خبرًا مستحيلًا كإجتماع الضدين. و إنْ يزيد انتشار الخبر في الناس، فيقلّ احتمال الوقوع في الخطاء، و إنْ وقع واحد في تحريف الخبر عمدًا أو سهوًا فيبقى سائر الرواة على الحق.

{٥} والثاني: خبر الرسول المؤيد بالمعجزة يوجب العلم الاستدلالي، والعلم الثابت به يضاهي العلم الثابت بالضرورة {٦} في التيقن والثبات.

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ {١} وَإِنْ يَرَوْا آية يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ { القمر ٢-١}. روي عن عبد الله رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اشهدوا". {صحيح مسلم، حديث ٢٨٠٢}، روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى، إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اشهدوا". {صحيح مسلم، حديث ٢٨٠٠}. روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما {صحيح البخاري، حديث ٣٨٦٨}. وعند الطحاوي، رحمه الله، تبلغ درجة هذه الأحادث عن انشقاق القمر إلى درجة التواتر. قد نرى أن طلب كفار قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم معجزة لقبولهم الإسلام، وهذا الطلب هو تحدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يفعل ما طلبوا منه، لَظهر لهم عدمُ علاقةٍ بينه وبين خالق القمر، فإن فعل ما طلبوا لَظهرت العلاقة بينه وبين خالق القمر، الذي يخلق ما يسأل عنه محمد صلى الله عليه وسلم. وشقّ الله القمر بدعاء محمد صلى الله عليه وسلم. وظهر أنه يخلق ما يسأل عنه محمد صلى الله عليه وسلم، وبذلك ثبتت العلاقة بين الله وبين رسوله،

بواسطتها ينزل على محمد الوحي من الله. وإن لم يكن بينهم العلاقة، لَما خلق الله ما سأل عنه، ويظهر عدم نزول الوحي، ويكون وضحًا أن من يدعي نبوته كذاب.

العقل: لإظهار حقيقة بعث الرسول للناس يجب أن تكون الواقعة التي تظهر العلاقة بين من يدعي برسالته وبين خالق العالم. لأن الزاعم برسالته يزعم أنه يحصل الوحي من خالق العالم، ولإثبات طريقة حصول الوحي من خالق العالم يجب أن تظهر العلاقة بينهما. ولن يظهر هذا الإثبات إلا بإحداث ما طلب الناس من المعجزات، التي لا يستطيع أحد من الناس أن يخلقها بالأسباب الطبيعية كالتلازم العادي، وهو من أركان وجود العالم. (وبذلك تسمى معجزة، يعني: ما أعجز أن يفعل. وأثبت الله التلازم العادي في الآية: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ { فاطر ٤٣} يعني: سنة الله لن تتغير في تخليقه المتكرر) فإن خلق الزاعم برسالته ما طلبوا منه من المعجزات لَثبتت صحة العلاقة بينه وبين خالق العالَم، ويكون واضحًا أنه يحصل على الوحي من خالق العالم. لأن خالق العالم يختار ما يريد، ولن يخلق الخالق ما يسأل عنه الزاعم الكاذب لأن ذلك الخلْق يثبت الكذب، ويصبح خالق العالم كاذبًا. وهذا مُحال لأن الكذب هو زعْم العاجز للتخليق بوجودِ شيءٍ معدومٍ، لأنه لا يستطيع أن يخلق ما قد زعم. ولكن خالق العالم ليس عاجزًا، لأنه يخلق ما يريد من الجائزات، ولا يريد المستحيلات كإجتماع الضدين، لأن رغبة المستحيل هي جهل عن عدم مقصد الرغبة. أما الجهل فهو لا يكون إلا فيمن يسبقه العدم، إذ الجهل هو حد العدم في العلم، و كل محدودٍ محدودٌ بعدم وجوده الذي لا

يكون إلا قبل وجوده لأنه موجود. ومن يسبقه عدم فهو مخلوق وليس خالقَ العالم. لقد رآينا أنّ خالق العالم يخلق ما طلب الناس لإثبات صحة رسالة رسوله ولن يخلق ما طلب الناس لإثبات الكذب. ويكون ذلك الخلق اظهاراً لصحة العلاقة بين خالق العالم وبين رسوله، بواسطتها ينزل إليه الوحي، فيكون هذا الوحي علمًا حقّيًا.

وأما العقل: فهو سبب للعلم أيضًا، وما ثبت منه بالبديهة فهو ضروري بأن كل شيء أعظم من جزئه {٧}، وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابي.

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ { يونس ١٠١} أشار الله أن المؤمن أصبح مؤمنًا بالنظر في ما هو موجود في السموات والأرض و كيف يوجد، والذين لا يؤمنون هم الذين لا ينظرون في السموات والأرض و لا يتفكرون في المخلوقات فيهما، و هذا النظر في المخلوقات يكون سببًا لظهور الإيمان بواسطة التفكر في المخلوقات. قال الله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ { البقرة ١١١}، أشار الله في هذه الآية أن الفكرة بلا برهان هي في أصلها أمنية، و قال الله تعالى هذا الكلام في أهل الكتاب دليلًا أن هذا البرهان ليس من جنس النصوص المقدسة، لأن أهل الكتاب لا يؤمنون بالقران والسنة،

والمسلمون لا يؤمنون بالتوراة والإنجيل المُحَرَّف. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ {البقرة ١٦٤} . قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ {آل عمران ١٩٠}. و قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ {ال عمران ١٩١}. و قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ {الدخان ٣٨}. و قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {الدخان ٣٩}، كل من هذه الآيات تدل على أن التفكر في خلق السموات والأرض وما بينهما يكون سببًا لحصول العلم المتحقق عن أركان وجود العالم ولمعرفة خالقه.

العقل: كما ذكرنا سابقًا، إذا كان هنالك شيئان موجودان متصلان بعضهما ببعض، فإنهما متساويان في وجودهما، فإذا الشيء موجود، فَيكون شكله أو صوته أو طعمه موجودًا أيضًا، و اتصال شيء آخر معه بواسطة الحواس المذكورة يكون ممكنًا كذلك. والعلم بالأشياء يحدث في الذهن بواسطة هذه الحواس، وهكذا يحفظ العقل ما يصدف من الموجودات، و على نفس الشكل يحفظ أحوال الأشياء وانتقالها بين العدم والوجود وبالعكس. العالَم موجود بقواعد الوجود و يستطيع إنسان أن يقيس

بقياس بين القواعد أثناء تفكره، فتكون نتيجته صحيحةً إن قاس قياسًا صحيحًا. ومن يزعم بأن العقل ليس من أسباب المعرفة، لا يزعم هذه النتيجة إلا بالعقل. فإن قال قائل: العقل المخطئ، فتكون نتيجته مخطئةً، ويصبح العقل سببًا صحيحًا للمعرفة، كما أظهرنا الآن. ثم يجب أن نعلم أن الأحكام العقلية ثلاثة: الواجب و هو ما لا يَتصور العقلُ عدمَه. والمستحيل هو ما لا يتصور العقلُ وجودَه. والجائز هو ما يصح في العقل وجوده وعدمه. وينقسم العلم إلى قسمين: أحدهما ضروري: وهذا العلم يقع في العقل بشهود أحوال العالم دون اختيار العبد و يقع بواسطة الحواس المذكورة. و حينما يكتمل هذا العلم يبلغ الإنسان سِنّ التكليف. والثاني اكتسابي: وهو ما يقيس العقل باختيار العبد من العلم الضروري الذي يوجد في ذهنه من قبل، وعلى ذلك العلم يقع الثواب والعقاب بحسب ما أختار العبد. وهكذا أوضحنا أن العلم يكون سببًا لمعرفة صحة الأشياء كالحواس المذكورة أو كالخبر الصادق. ملاحظة مهمة: قال علماؤنا الماتريدية، منهم الأُسمَنْدني: "العلم بالله تعالى واجب عقلًا، ولا حصول للعلم بالله تعالى إلا بالنظر وكان واجبًا كوجوبه ضرورةً". ويثبت وجوب معرفة الله عقلًا بما روي عن صاحب المذهب أبي حنيفة، رحمه الله، أنه قال: "و لوْ لم يَبْعَثِ الله تعالى للناس رسولًا: لَوَجَبَ عليهم مَعْرِفَتُهُ بِعُقُولِهم" [٥] وفيه إشارة أن معرفة الله متقدمة لمعرفة الرسول والسمعيات. قال الأُسمَنْدي في مسألة التقليد في الاعتقاد: "ومنهم من قال: إن الواجب هو الفزع إلى التقليد، وهو طريق لمعرفة صحة الأديان، وهذا باطل

[٥] أنظر: "إشارات المرام من عبارات الإمام" لكمال الدين البياضي، ص ١٨١

لما ذكرنا أنه يؤدي إلى صحة الأديان المتناقضة، وأن يكون الدين الواحد صحيحًا وفاسدًا. ثم الدليل إلى فساد التقليد المحض أن قول المقلد يحتمل أن يكون خطأً ويحتمل أن يكون صوابًا، وليس مع المقلد دليل على ذلك إلا النظر والاستدلال، فيجب الرجوع اليهما. ثم يقال للمقلد: قلّدتَ هذا الشخص على أنه محق أو على أنه مبطل أو على أنك جاهل بحاله؟ إن قال: على إنه مبطل، فهذا بعيد لأنه زعم أن الباطل متّبَع. وإن قال: على أني جاهل بحاله، فيقال له: لِم كان تقليدك إياه أولى من تقليد غيره؟ وإن قال: على أنه محق، فيقال له: بمَ عرفت كونه محقًا؟ فإن قال: بالتقليد، فهذا باطل بما ذكرنا، وإن قال: بالنظر والاستدلال، ثبت أن طريق معرفة صحة الأديان هو النظر والاستدلال، فيجب الرجوع إليه. فإن قيل: في هذا نفيُ صحة الاعتقاد عن عامة المسلمين وقولٌ ببطلان إيمان المقلد، وهو مخالف للمذهب السديد. قلنا: عنه جوابا، أحدهما: أن المسلم العامي منّا ليس بمقلد محضٍ، بل هو عالم بالله تعالى ورسوله على طريق الإجمال، لأنه يعرف أن البناء لا بد له من بانٍ، والمحدَث لا بد له من محدِثٍ، ويعلم بالتواتر أن النبي عليه السلام جاء وادّعى الرسالة وأقام المعجزة على ذلك، وأتى بالقران الذي عجز الخلق عن الإتيان بمثله، فهو عالم بهذا بالجملة، وإن كان لا يعلم بتفاصيل ذلك، ووجه الدلالة عليه ولا يقدر على حلّ الشبهة، ولكن قبل اعتراض الشبهة فهو مؤمن عارف بالله تعالى". ا هـ [٦]

---

[٦] لباب الكلام للأسمندي، ص ٥٠-٥٢

والإلهام: ليس من أسباب معرفة صحة الشيء عند أهل الحق

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ {الشمس ٨}، و قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ { ق ١٦}، و قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ { طه ١٢٠}. يخبر الله أنه خلق الإنسان ويعلم ما توسوس له نفسه من فجور أو من تقى، وكذلك يوسوس له الشيطان فجورًا. وقال الله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ {آل عمران ٣٩}، و قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ { آل عمران ٤٢} يخبر الله أن الملائكة تنادي بعض البشر، ولقد رأينا أيضاً أن النفس والشياطين كذلك ينادون بعض البشر، فإن لا يستطيع البشر أن يفرق بين نداء الملك ونداء الشيطان فليست هذه النداءات ثابتة في الصحة، لأن يمكن أن يكون النداء المعين نداءً من الشيطان.

العقل: كما ذكرنا سابقًا: كل موجود يستطيع أن يتصل بالموجود الآخر بالحواس المذكورة أو بواسطة أخرى، فإن كان هذا الاتصال بينهما مستورًا بالعدم بواسطة الحد في الحاسّة المعينة، فيكون هذا الاتصال مشكوكًا بسبب احتمال حصول العلم من مصدر غير مراد، ويكون هذا العلم نتيجةً لا من مقدّمتها.

والعالم {٨} بجميع أجزائه مُحْدَثٌ.

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ {الزمر ٦٢}، أثبت الله أن كل شيء دونه مخلوق ومحدَث.

العقل: إننا نرى أن كل شيء حولنا في السموات والأرض متحرك، وهذا التحرك لا بُدّ أن يكون بفناء شيء في النقطة الأولى، وبحدوثه في النقطة الأخرى، لأننا نرى أن الشيء المتحرك معدوم في نقطة بداية انتقاله حينما وصل إلى نهاية انتقاله، ولذلك يثبت أن كل شيء في السموات والأرض مخلوق ومحدَث. (هذا الدليل مأخوذٌ من الآية: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ {الأنعام ٧٦}. البرهان التالي: إنْ لم يكن هذا العالَم محدَثًا فَيكون أزليًا، بل نحن نرى أن كل شيء في هذا العالم محدود، كالأشياء الموجودة في حدودهِن بواسطتها تَتعدد و تَتفرق بعضُها عن بعضٍ، لأن تعداد الأشياء يمكن بوجود حد بينهن، وإن يكون حدًا لهن، فيبنى الشكل الخارجي لذواتهن بهذا الحد أيضًا. كذلك جهات سِت الكَوْن محدودة بمقابلة الجهات. لأن مقابلة الجهتين تجري بوجودهما بين عدمين. إذْ هما تقابلا بعضهما لبعض، فيجب أن يكون عدم لكِلاهما في خارج مكان تقابلهما و في خارج محل وجودهما. و العدم معدوم في جهاتٍ مقابلةٍ، لأنَّ غيابَ إحدَاهما لا يمكن إلا بوجودها. و الحدوث يجري بين

جهات العدم، و لذلك كل حادث محدود. فإن كان كل شيء محدودًا فيكون كل شيء مخلوقًا، لأن كل شيء موجود بذاته، و إنْ وجوده محدود بعدم قبل بدايته، فَتكون ذاته محدودةً كذلك، ولذلك أثبتنا أن كل شيء محدَث. وهذا أدلة لحدوث العالم متعلقة بالصفات تسمى الواجبة التي يجب لكل مكلف أن يعلمها/٠/.

إذا هو أعيان، وأعراض. والأعيان: ما لها قيام بذاتها، وهو إما متركبٌ وهو الجزء الذي لايتجزئ {٩} وهو الجوهر، والأعراض: ما لا قيام لها بذاتها، ويَحدث في الأجسام والجواهر كالألوان، والأكوان، والطعم، والروائح، {١٠}

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ {الرعد ٨}، أثبت الله أن كل شيء دونه بمقدار، و المقدار لا يتكون إلا بتعداد، والتعداد لا يكون إلا بحدود بين متعددين، فيجب أن يكون كل شيء دونه متركب بحدود، والتركيب يتجزء حتى يبقى الجزء الذي لا يتجزء، فلا يتجزأ بلا نهاية لأن اجتماع الأجزاء المتناهية ليس غير متناهي.

العقل: كما ذكرنا سابقًا: يجري تعداد الأشياء بوجود حدود بينهن، لأن في وجود شيء

أول عدم شيء آخر، فإنْ الشيء محدود، فَيكون انقسام هذا الشيء إلى الأجزاء جائزًا، ولن ينقسم هذا الشيء إلى أجزاء بلا نهاية، لأن جملة الأجزاء المتناهية ليستْ غير متناهية. فلذلك يجب أن يكون كل شيء محدَثًا و متركبًا من الأجزاء التي لا تتجزأ والتي تكون موجودة بذواتها أي قائمة بذواتها. والجسم هو ما يتركب من جزئين أو أكثر، والأكوان هي حدوث الأعراض في الأجسام أو في الأجزاء التي تسمى بالجواهر، وكلاهما يكونا مَحلًا لحدوث الأعراض، التي موجودة بالمَحل المذكور و لا بنفسها.

والمحدِث للعالم هو الله تعالى

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ {الزمر ٦٢}، ظهر من هذه الآية أن الله محدِث كل شيء. روي عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، قَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ". {رواه الترمذي ٢١٥٥، و أبو داود ٤٧٠٠ و صححه} ظهر من هذا الحديث أن أول ما خلق الله هو القلم، فلم يكن خلقًا قبله.

العقل: يجب أن يكون خالق العالَم، لقد رأينا أن كل شيء محدَث، ووجود الله لذلك

يكون واجبًا، لأن الله موجود بلا ابتداء، يعني موجود بلا سبب أو بشرط. و وجوده ليس كوجود المخلوقات، لأنها من ممكنات الوجود. إنْ سبق عدم لموجود يجب أن يكون له راجحٌ لترجيح العدم إلى الوجود، وهذا الراجح ليس محدَثًا بنفسه، لأنه معدوم قبل إحداثه، فيجب أن يكون له خالقٌ بلا بداية قبل إحداثه. إنْ نتصور أنَّ الأشياء تخلق أنفسها، فنتوقع في التسلسل الذي لا أول لجميع الأشياء أو نتوقع في دور تخلِيق الأشياء. أمّا التسلسل فهو مُحال لأن اجتماع الأجزاء المتناهية ليس غير متناهي، كما قلنا من قبل. ولذلك يجب أن يكون أول المخلوق، الذي يسبقه خالق بلا بداية. و التدور مُحال أيضًا، لأن فيه الخلق الأول يخلق الخلقَ الثاني، والثاني يخلق الثالث، والثالث يخلق الأول، ويصبح الأول مخلوقًا بنفسِهِ، وهذا غلط، لأنه لن يخلق شيءٌ نفسَهُ لأنه معدوم قبل تخليقه، فيجب أن يكون له خالق بلا بداية. وهذا دليل لصفة "الوجود" وهي من الصفات الواجبة /١/. فإذا الخالق موجود بلا ابتداء فلا يحتاج إلى راجح وجوده، ولذلك يوجد بلا حاجة في أي شيء، و وجوده غير متعلق بأي سبب أو شرط، وهذا دليل لصفة "القيام بنفسه" وهي من الصفات الواجبة/٢/. وإن لم يسبق العدم لوجوده، فلن يتقبل وجوده العدمَ في المستقبل، لأن كل شيء موجود بذاته، فإن وجوده محدود بحد قبل بدايته، فَتكون ذاته محدودةً بعدم أيضًا، كما بينّا سابقًا وتقبل العدم في المستقبل يصبح ممكنًا له. فإذا لم يكن لوجود الله بداية فلن يتقبل وجوده عدمًا في المستقبل، وهذا دليل لصفة "البقاء" وهي من الصفات الواجبة /٣/.

الواحد القديم الحي القادر السميع البصير الشائي المريد.

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ { البقرة ١٦٣}. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ {الحديد ٣}، أثبت الله معنى القدم بهذا الإسم، لأن معنى كلمة القدم في اللغة هو شيء أطول زمانًا من سنة واحدة، فهذا تشبيه بالمخلوقات، ولذلك أختار الله اسم الأول الذي لا أحد قبله، و هذا كالإسم القديم بل أفضل. قال الله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ { البقرة ٢٥٥}، و قال: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ﴾ { الأنعام ١٣٨}، و قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ { غافر ٢٠}، و قال: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ { آل عمران ٤٧}، و قال: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ { البقرة ٢٥٣}.

العقل: كما ذكرنا سابقًا التعداد يمكن بعدم بين الموجودين، والموجود لا يقابل العدم بحد إلا قبل بدايته لأنه موجود. والزعم بوجود إلهَين أو أكثر مُحال، لأن تعداد الأشياء لا يمكن إلا للمخلوقات. البرهان التالي: إنْ يوجد إلهَين فينبغي أن نسأل: هل يستطيع أحدهما أن يخفي علماً عن الآخر، فإن كان يستطيع، فيكون الآخر جاهلًا، وإن لم يستطيع على ذلك فيكون أولهم جاهلاً، هذا الدليل الذي يسمى بدليل التمانع مأخوذٌ من الآية: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ {الأنبياء ٢٢}. وهذا دليل لصفة "الوحدانية" من الصفات الواجبة/٤/. إن لم يكن إله قديمًا فيكون حادثًا وهذا

مُحال، لأنه يجب أن يوجد مَن خلَقَه، وخلق من خلقه، وكذا بلا نهاية، وهذا محال لأن جملة أجزاء متناهية ليستْ غير متناهية، فيجب أن يكون الإله أولًا، قديمًا بلا بداية. وهذا دليل لصفة "القدم" من الصفات الواجبة/٥/. إنْ لم يكن إلهًا حيًا فَيكون ميتًا، وميت يصبح معدومًا أو يساوي للعدم، والمعدوم ليس بشيء. هذا دليل لصفة "الحياة" من الصفات الواجبة/٦/. إنْ لم يكن قادرًا فيكن عاجزًا، والعاجز محدود، لأن العجز هو حدُ العدم في القوة. وكما ذكرنا سابقًا كل محدود هو مخلوق. وهذا دليل لصفة "القدرة" من الصفات الواجبة/٧/. إنْ لم يكن سميعًا بصيرًا فَيكون أصمًا وأعمًا وكلاهما من أنواع الحدود في السمع والبصر وكل محدود هو مخلوق. هاتان صفتان متعلقتان بكل موجود، وكذلك على المشيئة والإرادة، لأنه إنْ لم يكن شائيًا ومريدًا فَيكون بلا مشيئة وإرادة وهذا كذلك نوع من العدم بحد في الإرادة وفي المشيئة وكل محدود هو مخلوق كما بينّا، وإرادته متعلقة بكل جائز، وهذا أدلة لصفات "السمع" /٨/ و"البصر" /٩/ و"المشيئة" و"الإرادة" /١٠/ من الصفات الواجبة.

ليس بعرض ولا جوهر{١١} ولا جسم ولا مصَوَّر ولا محدود ولا معدود ولا متبعض ولا متجزي ولا متركبٌ ولا متناهي ولا يُصف بالمائية [ورق ١٣] ولا بالكيفية ولا يتمكن في مكان ولا يجري عليه زمان ولا يشبهه شيء ولا

يخرج عن علمهم وقدرتهم شيء

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِۦ شَىء وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ﴾ {الشورى ١١} و قال تعالى: ﴿وَلَم يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُ﴾ {الإخلاص ٤}، هاتان الآياتان تنفيان كل نوع من أنواع المماثلة والتشبيه. كما قال أُبْي بن كعب في حديثه في تفسير آية: ﴿وَلَم يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ : قال "لم يكن له شبيه ولا عِدل وليس كمثله شيء" {سنن الترمذي ٣٣٦٤، حديث حسن}. ينفى أبي بن كعب التمثيل والتشبيه والتعديل، وهذا كله من درجات المماثلة، منهن الشِبْهُ هو أسفل من درجات المماثلة وهو التمثيل الجزئي. ومثل هو نفس المماثلة، وهو التمثيل الإجمالي. وعِدل هو التمثيل المطلق وهو التمثيل في كل الأطراف. وكل ما جاء في صفاته من الآيات المتشابهات فيجب أن نعلم: أن الله فصل الآيات القرآنية على نوعين: أولهما: الآيات المحكمات، والثاني: الآيات المتشابهات، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ {ال عمران ٧}، و "المتشابه " هو اسم المفعول لوزن الفعل السادس على شكل مُتَفَاعِلٌ ، ومعناه مفعول من فعل بين الأشياء. كل الآيات القرآنية مبينة، سواء كانت آية محكمة أو متشابة، قال الله:

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ {الحج ١٦} أي كل آيات القرآن بينة. وأصل الكلمة شِبْهٌ ومعناه — شيء مثل شيء آخر. كما قال الله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ {البقرة ١١٨} يعني قلوبهم تشابهت على قلوب الذين من قبلهم، لأن قولهم مثل قول من قبلهم. وبأي معنى استخدم الله في القرآن هذه الكلمة "متشابه"؟ في القرآن كله نفس الكلمة على معنى واحد، قال الله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ {البقرة ٢٥} قال ابن منظور في لسان العرب: "وقال المفسرون متشابها - يشبه بعضه بعضا في الصورة و يختلف في الطعم، ودليل المفسرين قوله تعالى ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ لأن صورة الصورة الأولى و لكن اختلف طعم". ا هـ [٧]. يعني ذكر الله أن أصحاب الجنة يحصلون على ثمرات الجنة، و ليس على ثمرات الدنيا، ويدل على الفرق بينهما. كذا قال الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ {الأنعام ١٤١}، قال سمين الحلبي رحمه الله في تفسيره: "و" أُكُلُه " مرفوع بـ " مختلفاً " لأنه اسم فاعل، {...} وقال الحوفي: "والهاء في "أكلُه" عائدةٌ على ذِكْرِ ما تقدَّم من هذه الأشياء المنشآت" ، وعلى هذا الذي ذكره الحوفي لا تختص الحال بالنخل والزرع بل يكون لِما تقدَّم جميعه {...} قلت: فيبقى التقدير: مختلفاً أكل ثمر الجنات وما بعدها، وهذا يلزم منه إضافة الشيء إلى

---

[٧] لسان العرب

نفسه، لأن الأُكُل كما تقدم غير مرة أنه الثمر المأكول". ا هـ [٨]. وقال رئيس أهل السنة رحمه الله في تفسيره: "منها ما يكون متشابهاً في اللون ومختلفاً في الأكل والطعم، ومنها ما يكون مختلفاً في اللون والمنظر متشابهاً في الطعم والأكل ليعلموا أن منشئها واحد". ا هـ [٩]. من تلك الآيات علمنا في أي معنى استخدم الله في القرآن كلمة "متشابه". إنْ الشيء الأول يشبه الشيء الآخر فلا بد أن يكون هنالك فرق بسببه لا يكون الشيءُ الأولُ شيئًا آخرًا نفسه، وبهذا يثبت الفرق بينهما، لأن الشبه ممكن بين الأشياء المختلفة. كقول: "نارنجة تشبه علي يوسفي"، ولا يقال "نارنجة تشبه على نارنجة"، لأن هذا مُحال، ولا يحتوي على معنى، وغير مفيد كما جاء في الآجرمية: "الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع" ا هـ [١٠]. كلمات "نارنجة تشبه على يوسفي" تدل على أن شبه ممكن بين الأشياء المختلفة فقط. وكذلك كلمة من آية متشابهة تشبه لكلمة من آية آخرى ولكن معناها مختلف. وإنْ الله موصوف في الآيات المتشابهات بكلمات يصفن غير الله، فمعناهن يكون مختلفاً عن الكلمات التي يصفن غير الله. وخلاصة معنى كلمة متشابه يكون كما قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله في تفسيره: "والمتشابه: الذي يكون اللفظ يشبه اللفظ والمعنى مختلف". ا هـ [١١]. هكذا قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله: "و أما قوله

---

[٨] تفسير سمين الحلبي

[٩] تأويلات اهل السنة

[١٠] متن الآجرمية

[١١] بحر العلوم، ص ٢٤٦

"متشابهات" فإن معناه: متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعنى، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ {البقرة ٢٥} يعني في النظر، مختلفًا في المطعم، وكما قال مخبرًا عمن أخبر عنه من بني إسرائيل أنه قال: ﴿إِنَّ البَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ {البقرة ٧٠} يعنون بذلك: تشابه علينا في الصفة، و إن اختلفت أنواعه". ا هـ [١٢]. إنْ قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٍ﴾ {٤٢:١١} و ﴿ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ {١١٢:٤} فيكون كل الوصف الذي يوصف به غير الله متشابهاً، و معناه يكون خلافاً للمعنى الذي يوصف بها لغير الله. وهذا تفسير كلمة متشابه مأخوذ من القرآن، وهذا تفسير القرآن بالقرآن ولن تجد أقوى من ذلك.

العقل: كما ذكرنا سابقًا ليس للذات الأزالية حدًا، إذْ العدم في خارج حدودِ المحدودِ غيرُ موجود بتسبيق وجودِه، لأنه موجود. ولذلك لا صورة له ولا شكل ولا تمكُّن ولا إحاطة بالجهات الست، لأن الحدُ هو شكل خارجي للمحتويات في الذات. والصورة تبنى على حدود وأعماقها، وسُمُكها، وأطوالها، وكذالك تمكُّن يبنى ببعداء عن الحدود الأخرى. وكل ذلك من شروط وجود المخلوقين. وكذلك إنْ لم يكن حدًا له، فلا يكون إلَهًا في خارج حدوده، و إنْ ليس له حدًا، فلا يتكون متركبًا بحد بين إلهَيْن أو أكثر، ولذلك لا يتكون معدودًا ولا متبعضًا ولا متجزيًا ولا متركبًا، وإنْ لم يكن له بدايةً، فلا يجري عليه الزمان، لأن الزمان يجري بعدم طرفة ماضية وحدوث

---

[١٢] تفسير الطبري

طرفة مستقبلة، ولإجرى في الزمان يجب أن يفني ويحدث، والفناء والحدوث واسطتا التخليقِ. وهذا أدلة لصفة "مخالفة للحوادث" من الصفات الواجبة/١١/.

وإنْ لم يكن محدودًا فلا يخرج عن علمه وقدرته شيء، لأن الخروج عن العلم أو عن القدرة يمكن بحد الذي يقتصر أو يبتعد. وثبوت صفة العلم كذا على دليل حدوث المحدود، الذي ذكرناه عدة مرات خلال هذا الكتاب، لأنه يعلم كل ما هو واجب لوجوده، وكل ما هو مستحيل لوجوده، وكل ما هو جائز لوجوده، فإن لم يعلم شيئًا من ذلك، فهذا لا يمكن إلا بالحد الذي يقصر شيئًا من علمه، وكما ذكرنا كل محدود حادث. وعلمه لا يزيد ولا ينقص ولا يتغير، لأن الزيادة أو النقصان أو التغير لا يكون إلا بتبعيد أو بتقريب الحدود، وكلاهما مخلوق. وتغير المخلوقات يغير التعلُّقات بين علم الله والمخلوق، ولا يتغير العلم لأنه غير محدود. هذا دليل لصفة "العِلم" من الصفات الواجبة/١٢/.

ولهُ صفات أزلية{٢} قائمة بذاتهِ وهي لا هو، ولا غيرهُ.

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ {الصافات ١٥٩}، أشار الله أن كل من صفاته مقدسة عن كل عيب، و هذا عيب من جنس الحدوث، لأن كل مخلوقٍ محدودٌ و الحد هو نقصان في الكمال، لأن قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ

وَالْآخِرُ﴾ {الحديد ٣}، و أثبت الله لنفسه هذه الصفات الأزلية.

العقل: كما ذكرنا سابقًا، لو الله غير مخلوق فيجب أن يكون بلا بداية. فهذا يثبت له وجودًا بلا حد، فإنْ لم يكن حدًا له فتكون ذاته غير محدودة، و تعداد الصفات في ذات غير محدودة يكون بعدم حدود، و لذلك لم يكن له عجزًا لأنه حد في القدرة، و هذا يثبت له القدرة المطلقة؛ و لم يكن جهلًا له لأنه حد في العلم، و هذا يثبت له العلم المطلق؛ و لم يكن عماءً له لأنه حد في البصر، و هذا يثبت له البصر المطلق؛ و كذا على سائر الصفات الثبوتية و السلبية و النفسية. و هذه الصفات ليست موجودة بذواتها منفردة، لأن وجود منفرد لا يمكن إلا بحد، فإن لم يكن حدًا لهن، فتكون كل الصفات موجودة بذات واحدة التي هي غير محدودة، وبذلك الصفات لا هو و لا غيره.

وهي العلم والقدرة والحياة والقوة والسمع والبصر والإرادة والمشيئة و الفعل {٣} والتخليق والترزيق

وجه الاستدلال:

النقل: لقد أوردنا الأدلة النقلية على صفات القدرة و الحياة و السمع و البصر و الإرادة و المشيئة. و الأدلة على الصفات الباقية التالية: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ {٦١ الأنفال}، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ {٦٦ هود}، قال

تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ {٤٠ آل عمران}، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ {٤٧ آل عمران}، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ {٥٨ الذاريات}.

العقل: لقد أوردنا الأدلة العقلية على الصفات المذكورة سوى هذه الصفات، و هي مستندة على دليل حدوث المحدود. و يجب أن نعلم أن صفات الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام: النفسية و هي الوجود و البقاء و تسمى نفسيةً لأنها تصف وجوده، و السلبية و هي مخالفة للحوادث و القدم و الوحدانية و القيام بنفسه و تسمى السلبيةً لأنها تنفى العيوب عنه تعالى، و الصفات الثبوتية، هي: العلم، القدرة، الإرادة، الحياة، السمع، البصر، الكلام و التكوين، و تسمى ثبوتيةً لانها مع النفي تثبت معاني و كذلك تسمى معانيًا، و ينكرونها المعتزلة من خوف تعداد الصفات الذي بيّناه بالأدلة العقلية. وأثبتوا الصفات المعنوية اللازمة لصفات المعاني كالعالم و القادر و الحي، و الصفات المعنوية تصف وجود تأثير صفات المعاني. وقالت المعتزلة أنه عالم بذاته و قادر بذاته و هذا غلط لأن فيه إثبات أنّ شيء واحد في حال واحد يكون عِلمًا و قدرةً و لذلك يصبح أنّ العلم هو القدرة. و لكن فيه إبطال معاني الصفتين لأن العلم ليس بقدرة.

والكلام وهو متكلم بكلام هو صفة أزلية ليس من جنس الحروف و الأصوات وهي منافية {٣} للسكوت والآفة والله تعالى متكلم بها آمر

ناهِي مُخبر والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب في {٥}

مصاحفنا محفوظ بقلوبنا مقرؤٌ بألسَنتِنا مسموع بآذاننا غير حال فيها

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ {١٦٤ النساء}، و قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ {٦ التوبة}، أثبت الله أنه موصوف بصفة الكلام، و متكلم بها. و أنهُ موصوف بالآية المحكمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ {الشورى ١١}، فيجب من ذلك أن يكون كلامًا مخالفًا لكلام المخلوقات، و هذه الآية تنفى عن كلامه الانقطاع و الصوت، الحروف و كل شيء من جنس الحدث. إنْ قال الله: ﴿إِن هَٰذَآ إِلَّا قَولُ ٱلبَشَرِ {٢٥} سَأُصلِيهِ سَقَرَ﴾ {المدثر ٢٦}، فيكون القرآن ليس من كلام المخلوقين، و لكِن هو مؤلَّف من الحروف و الكلمات و الأصوات، فكل هذه مخلوقة و ما دونه غير مخلوق. الوجود القرآني ينقسم إلى أربعة أقسام: وجود عيني و وجود ذهني و وجود عباري و وجود كتابي. الثلاثة الأواخر — مخلوقة، و الأول أزليٌ.

العقل: إنْ لم يكن الله متكلمًا فيكون أبكماً، و البكم هو حد في وجود، و كما ذكرنا سابقًا أنّ كل محدود هو محدَث، فإنْ لم يكن الله مخلوقًا فيكون أزليًا و لذلك لم يكن له حدًا في وجود كلامه، و لذلك كلامه غير محدود و بلا انقطاع و لا حرف و لا كلمة و لا صوت و لا تغير. و بعلمه الذي يحوي كل من واجبات و مستحيلات

و جائزات، عَلِم الله في الآزل لُغات البشر، و بهذا العِلم نظَّم القرآن نظْمًا من الكلمات العربية في الوحي المُنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. و في وقت إحداث الوحي في العالَم بشكل الأصوات و الحروف و الكلمات العربية انتقلت معاني كلامه الأزلي في هذا الشكل الحدَثي، و الأزلي غير موجود في الحدَثي، و الحدثي يكون دالًّا للأزلي. و هذا دليل لصفة "الكلام" من الصفات الواجبة /١٣/، و كلامه متعلق بجائز، وواجب و مستحيل.

والتكوين صفة لله تعالى أزلية وهو {٦} تكوين للعالم ولكل جزء منه لوقت وجوده وهو غير المكَوَّن عندنا

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ {١١٧ البقرة}، جاء في هذه الآية كلمة "كُنْ" التي هي عبارة عن صفة التكوين. و وصف الله نفسَه بصفة التكوين بواسطته يحدِث المخلوقات، و كما ذكرنا سابقًا أنه يخالف المخلوقات، و لذلك لا يخلق بكلمة، بل هذا مجاز من المتشابهات. و كل أمر من أمور العالَم يحدث بهذا التكوين. و هذه الصفة تستحق له في الأزل، لأنه وصف نفسَه بكلام أزلي.

العقل: لإحداث المخلوقات يجب أن تكون صفة خاصة للإحداث، لأنه إنْ لم تكن

صفة التكوين لإحداث الأشياء، فتكون المخلوقات أزليةً أو مخلوفة بأنفسهن بتسلسل أو بتدور، و كلاهما محال كما بيّنا من قبل، فأما أزلية المخلوقات فهذا محال أيضًا، لأن تعداد الأشياء لا يمكن إلا بحَدٍّ بينهن، و هذا الحد غير موجود بعدم قبل وجودهن لأنهن موجودة، فلذلك الأشياء الأكثر من اثنين تكون حادثةً. لقد رآينا أنه يجب أن تكون هناك صفة أزلية خاصة للإحداث و بواسطتها تحدث الأشياء. و طريقة الإحداث تجري بشرط الإحداث في الأوقات المنفردة، لأنه إنْ لم تكن الصفة التي تحدث في أوقات الزمان، فيصبح العالَم أزليًا بتأثر الصفات الأزلية. و من ذلك لا بُدّ من الاحتمالين: إما أن تكون صفاته حادثةً في وقت التخليق، وإما أن تكون جميع صفاته أزليةً، و منهن الصفة التي تحدِث في أوقات الزمان، مفهوم أنّ أول الاحتمالين مُحال، لأن الإحداث لا يمكن إلا في حادث، لأنَّ الحادث محدودٌ، و حدوث شيئ جديدٍ فيه يجري بزيادة على حدوده، و ليس في الأزلي حدًّا للتطبيق. فيبقى أن له صفة أزلية والتي تحدث الأشياء في أوقات الزمان. و من قدم التكوين لا يلزم أن يكون مكوَّن قديمًا، بل العكس: يجب أن يكون عقبًا بعده، كما يجب أن تكون تابِعةٌ عقبًا بعد سببها، و وقت إحداثها غير متعلق بوقت وجود السبب، لأنهما كونان منفصلان. هذه الصفة متعلقة بكل الجائزات. و هذا دليل بأن صفة "التكوين" من الصفات الواجبة /١٤/و لقد أوردنا كل الصفات الواجبة مع الأدلة العقلية لتثبيت الاعتقاد بالاستدلال. و كذلك واجب معرفة الصفات المعنوية الملازمة للسبع المعاني و هي تصف الله: القدير، المريد، العليم، الحي، السميع، البصير، المتكلم، المكوِّن.

والإرادة صفة للهِ تعالى أزلية قائمة بذاته

وجه الاستدلال:

لقد أوردنا الأدلة النقلية و العقلية لإثبات صفة الإرادة

{٧} ورؤية اللهِ تعالى جائزة في العقل واجبة بالنقل ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين اللهِ تعالى في الدار{٨} الآخرة فيُرى لا في مكان ولا على جهة من مقابلة أو اتصال شُعاعٍ أو ثبوت مسافة بين الرائي وبينهِ تعالى

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ {٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ {٢٣ القيامة}، أشار الله أن آلة النظر تتمكَّن في وجوه الناس، و في وجوه الناس لا يوجد آلةَ النظر إلا العينين. فظهر أن الله مرئي لعيون الناس. على قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ {١١ الشورى}، رؤية الله لن تكون كرؤية المخلوقات بصورة أو في مكان، فيرى لا كالمخلوقات. قال الله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ {١٤٣ الأعراف}، لا يستطيع أحد من المخلوقين أن ينظر إلى الله حتى يموت، وكما قالت أم المؤمنين

رضي الله عنها: مَن حَدَّثَكَ أنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رَأَى رَبَّهُ، فقَدْ كَذَبَ، وهو يقولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾ {الأنعام ١٠٣}، ومَن حَدَّثَكَ أنَّه يَعْلَمُ الغَيْبَ، فقَدْ كَذَبَ، وهو يقولُ: لا يَعْلَمُ الغَيْبَ إلَّا اللَّهُ {صحيح البخاري ٧٣٨٠}.

العقل: كما ذكرنا سابقًا يمكن لكل موجود أن يتصل بسائر الموجودات، لأنهم متساويون في وجودهم. وعدم إمكان الاتصال بشيء آخر يمكن بحد بينهما، فإنْ كل محدَثٍ محدودٌ في كل من جهاته الوجودية، منهن مثلًا البصر أو سائر الصفات، فَيكون بصره عاجزًا لرؤيةٍ مطلقةٍ، فإنْ كل إنسان مخلوق لهذا العالم فَيكون بصره مخلوقًا لهذا العالم أيضًا، و بصره متصل بسائر المخلوقات، و إنْ أراد أن يتصل بما هو خارج عالم المخلوقات فيكون بصره عاجزًا لرؤية ما هو خارج من عالم المخلوقات، فإنْ صار الإنسان مخلوقًا في غير هذا العالم فيكون بصره جاهزًا لرؤية غير هذا العالَم. أمّا ما بعد الموت فهو خلق جديد يخلق الله فيه لبصر الإنسان إمكانية رؤيته، فَيكون إنسان رائيًا ربَه الذي موجود خلافًا لوجود المخلوقين.

[ذكر الإيمان السادس - الإيمان بالقدر، متعلق بأفعال الله]

والله تعالى {٩} خالق كل أفعال العبد من الكفر والإيمان والطاعة و العصيان وهي كلها بمشيئته وإرادته وحكمه وقضائه وتقديره

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ {الصافات ٩٦}، يخبر الله أنه خلق الناس و يخلق ما يعملون من كل أعمالهم الحسنة و السيئة. قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ {٢٥٥ البقرة}، علم الله في الأزل بما أختار العبد و أراد الله بقضائه أن يخلق هذا الاختيار للعبد، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ {٣٨ الأحزاب}.

العقل: كل ما يحدث في العالم يجب أن يكون مخلوقًا بنفسه أو مخلوقًا بغيره، أما خلْق الشيء بنفسه فهو مُحال، لأنه لن يخلق الشيء نفسَه لأنه معدوم، و لذلك تخليقه معدوم أيضًا، فيبقى أن يكون الشيء مخلوقًا بغيره. و وجود الأشياء في الزمان يجري بفنائها في طرفة ماضية و بحدوثها في طرفة قابلة، و لا بد أن يكون كل تغير في عالم المخلوقات، ولو أفعال العباد، محدَثةً بمَن خارج مِن كون في الزمان، و هو خالق العالم.

{١٠} وللعباد أفعال اختيارية يُثابون عليها ويُعاقبون عليها والحسن منها برضا الله تعالى والقبيح منها ليس برضاه

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ {١١١ النساء}، و قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ {الأنعام ١٦٤}، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ {٢١ الطور}، و قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ {٢٢٥ البقرة}، و قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ {١٩ المزمل}، و قال تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ {٢٩ الكهف}، فالظاهر أن نسب الله الاختيار بين الإيمان و الكفر و بين الخير و الشر على عباده.

العقل: قالت الجبرية: ليس للعبد الاختيار في أفعاله، و كما ذكرنا سابقًا كل من أفعال العباد مخلوقة لله، سواء كان فعلُ خيرًا أو شرًا، بل الجبرية زادوا على ذلك و قالوا بأن الله يخلق اختيار العبد دون العبد، و العبد مجبور في اختياره. على سبيل المثال: لا فرق بين ضربات القلب و الشُرب أو الجلوس أو الصلاة، كلهم باختيار الله و ليس للعبد مُساهمة في ذلك. و ينكرونه القدرية تمامًا و قالوا: ليس لله أي تاثير في خلق أفعال العباد، بل العبد هو صاحب القوة المستقلة لتخليق أفعاله، التي تستند

في وجودها على وجود العبد، و يسمون هذا بتَوَلُّد. و كلاهما على الباطل، لأنه إن كان رأي الجبرية صحيحًا فيبطل الثواب و العقاب و إرسال الرسل، لأن الثواب و العقاب، مُلازمان بإصدار النية، فإن تصدر النية من الله فيكون صاحبًا لهذه النية، و موصوفًا بها، ومستحقًا على تابعتها. و لذلك استحق الثواب و العقاب من أصدر النية. فإن لم يشترك العبد في إصدار النية فلا استحق تابعة النية، فإن يكون كذلك، فَيكون الله ظالمًا، والظلم هو حد في الإرادة، لأن الظالم يريد أن يفعل شيئًا عاجزًا له فيما يستطيع أن يفعل، فإن كل محدَث محدودٌ فيكون الظالم محدَثًا. أما القدرية فرأيهم باطل كذلك لأن جرى فاعل في الزمان يكون بفنائه في طرفة ماضية و بحدوثه في طرفة قابلة. و الفاعل، إنْ يجري في الزمان، فيجب أن يكون مخلوقًا و كل أفعاله تصير مخلوقةً أيضًا، لأنها تجري في الزمان بواسطة الفناء و الحدوث، و لذلك يجب أن يكون خالق لوجود العبد في الزمان و لحدوث أفعاله في الزمان، و أصبح ظاهرًا أن أفعال العباد مخلوقة لله. و رأي القدرية فاسد أيضًا، لأنهم ينسبون على الله جهلًا، لأنه إنْ عَلِم الله في الأزل أنّ فلان في وقت معيّن يَقوم، و هذا فلان بقدرته المستقلة جلس في ذلك الوقت المعيّن، فيكون عِلْمُ الله خطأً، و هذا يمكن للجاهل فقط. و الجهل، كما ذكرنا سابقًا هو حد في علم، وكل محدود حادث. فأما الاختيار يجب أن نعلم أن العِلم هو عرض، لأنه موجود بغيره، و كل عرض مخلوق الله، فمَن خلق الاختيار إنْ عرض مخلوق الله؟ عند الماتريدية العلم على نوعين، كما ذكرنا: أحدهما علم ضروري الذي يخلقه الله في إنسان بلا اختياره، كما شهد في زمان طفولته

البديهيات. على سبيل المثال: شهد أن كل شيء أعظم من جزئه. و العلم الضروري موجود في ذهنه مُسايارةً لوجوده. و الثاني: علم اكتسابي و هو يحدث بالاستدلال. و لحدوث كل عرض العلم الاكتسابي الجديد يجب أن يجمع المخيَّر بالقياس بين عرضين أو أعراض العلم الضروري التي موجودة في ذهنه قبل الاختيار. و لِجَمْعِ عرضين أو أعرض العلم الضروري الموجودة يجب أن تكون له قوة كالآلة التي بواسطتها يرجح العبد عرضين من العلم الضروري لحدوث العلم الاكتسابي، و التي هي، أي – القدرة، مستندة على الله في وجودها. لأن كل من الممكنات موجودة بتخليق الله. و أصبح ظاهرًا أن العلم الضروري – خلق الله، و قوة الترجيح – خلق الله، و حدوث العِلم الاكتسابي – خلق الله، بل راجح – هو العبد. فهذا وسط بين الجبر و القدر الذي هو أهل السنة و الجماعة. قال عبد الحكيم السيالكوتي، رحمه الله، في كتابه "زبدة الأفكار": "و الحاصل: أن الله تعالى خلق في العبد علمًا إجماليًا بالأفعال الاختيارية قبل صدورها، و علمًا بحسنها و قبحها و ترتيب الثواب و العقاب عليهما مأخوذ من لسان الشارع، و خلق فيه إرادة [١٣] تابعة لذلك العلم مرجحًا لبعضها، و قدرة متعلقة بالفعل تابعة لتلك الإرادة بحيث لو كانت مستقلة في الإيجاد لأوجدها" [١٤].

---

[١٣] هي تسمى عند الماتريدية بالإرادة الجزئية

[١٤] زبدة الأفكار للسيالكوتي

{١١} والاستطاعة مع الفعل وهي حقيقة القدرة التي يكون بها الفعل ويقع هذا الإسم على سلامة الأسباب والآلات {١٢} والجوارح، وصحة التكليف تعتمد على الاستطاعة ولايكلف العبد ما ليس في وسعه، ومايُوجد من الألم في المضروب {١٣} عقيب ضرب إنسان والإنكسار في الزجاج عقيب كسر إنسان وما أشبههه كل ذلك مخلوق للهه لا صُنع للعبد فيهه

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعمَلُونَ﴾ {الصافات ٩٦}، و قال الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ {٢٨٦ البقرة}، أشار الله أن فعل العبد هو خلق الله، ولخلق الفعل يجب أن تكون هناك استطاعة للتخليق، فإن لم توجد الاستطاعة فلن يخلق فعلًا، و أصبح ظاهرًا أن استطاعة الفعل هي قدرة التخليق بواسطتها يحدث الفعل من العدم إلى الوجود. وهذه الاستطاعة موجودة في الخالق دائمًا لأنه يخلق جرى الكائنات في الزمان. فإن هي، أي القدرة، موجودة في الخالق فهي غير موجودة في العبد، لأنه يجري في الزمان بواسطة الفناء و الحدوث الذان أصلًا من مخلوقات الله، ولذلك لم تكن الاستطاعة في العبد، بل تحدث فيه لحدوث عمله. والاستطاعة على النوعين: أحدهما المذكورة سابقًا، و هي من جنس التوفيق أو الخذلان، والثانية

من جنس سلامة الأسباب كصحة الجوارح، و يعتمد التكليف على سلامة وصحة الجوارح، فإن لم تكن للعبد رِجلين فلا يكلف بالقيام في الصلاة مثلًا، وكذا على سائر مسائل التكليف. والظاهر من الآية الثانية من أدلتنا النقلية أن التكليف يعتمد على وجود سبب من صحة الجوارح وبالعكس: فإن لم تكن في العبد جارحةً فلا يكلف العبد بالتكليف المتعلق بهذه الجارحة المعدومة. وهذا كله رد للمعتزلة الذين زعموا بتولُّد الأعمال الذي يتصور بوجود الاستطاعة الدائمة في العبد وهذا يخالف ما ذكر الله في القرآن و مخالف للعقل السليم على ما ذكرنا.

العقل: كل محدَث يحدث إما بنفسِه و إما بغيرِه. فأما حدوثه بنفسه فهو محال لأنه معدوم، وثأثيره كذا معدوم. وأما حدوثه بغيره فهو صحيح. أما حدوث عمل العبد فهو يحدث بغيره لأن العبد محدود، وكل محدود حادث، ولحدوثه يحتاج إلى المحدِث الذي ليس هو لأنه معدوم. فإن العبد و عمله محدَثان و يجريان في الزمان فلا يجري انتقالهم من الماضي إلى الحاضر إلا بفنائهما في طرفة ماضية وبحدوثهما في طرفة قابلة. فيجب أن يكون هنالك خالق لهذا الانتقال، وهذا الخالق ليس عبدًا، لأنه معدوم حينما ينتقل. فظهر أن حدوث فعل العبد لا بخلق العبد، فيجب أن لا تكون الاستطاعة لتخليق العمل في العبد. فإن حدث عمل العبد، فلا يحدث إلا بحدوث الاستطاعة معه. و أصبح ظاهرًا أن الاستطاعة تحدث في العبد مع حدوث فعله. والتكليف يعتمد على وجود الآلات وهي كالسبب الذي بواسطته تحدث الاستطاعة والفعل نفسه، فإن لم يكن سببًا فلن تكون تابعةً.

{١٤} والمقتول ميت بأجله والأجل واحد والحرام رزق وكل يستوفي رزق نفسه حلالًا كان أو حرامًا {١٥} ولا يُتصور أن لا يأكل إنسان رزقه أو أن يأكل غيره رزقه والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وما هو الأصلح {١٦} للعبد فليس ذلك بواجب له على الله تعالى

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ {٣٤ الأعراف}، ظهر من هذه الآية أن الأجل واحد و لا يتغير بشيء. قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ {٨٨ المائدة}، ظهر من هذه الآية أن الرزق على نوعين: أحدهما: حلال، و ثانيهما حرام، فالله أباح الحلال فقط مع وجود ضده. وفيه رد للمعتزلة الذين زعموا بأن الحرام ليس رزقًا، بل نشاهد أن الحرام رزق كذلك ولكن يُأكل الحلال فقط، لأن في ذكر الرزق أخص الله رزقًا بالحلال فيجب من هذا التخصيص للرزق وجود ضده. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ {هود ٦}، قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ {الرعد ٢٧}، قال الله: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ {البقرة ٢١٣}.

العقل: مخالفة لهذه القاعدة تؤدي إلى إبطال علْم الله. الموت والرزق والإضلال وتضادهم كلهم يحدث، وكل محدَث يحدث بتحديث المحدِث، والحدوث هو تابع

الاختيار. وظهر أن كل ما يحدث هو خلقُ الله باختياره. إذ الاختيار يستند على علم الله، لأن العلم هو مقدمة التخليق، إذ التخليق هو الانتقال من وجود ذهني إلى وجود مادّي. وكما ذكرنا سابقًا أنّ عَلِم الله في الأزل ما أراد أن يخلق، ثم خلقه، فإنْ الخالق – هو الله، فليس أحدًا يكون خالقًا مع الله لتأخير الأجل أو للترزيق بالحرام أو لإضلال نفسه، كل ذلك لا يحدث إلا بخلق الله. و تأخير أو تقريب الأجل ينسب الجهلَ على الله، لأن إنْ قَدَّرَ اللهُ في الأزل أنَّ فلان يجلس و فلان غيَّر قَدَرَ اللهِ و قام، فَيكون الله جاهلًا بنهاية الأمر. و الجهل هو أمارة الحدوث و مستحيل على الله. كلام المؤلف هو رد لبعض أقوال المعتزلة الذين زعموا بتولُّد أفعال العباد و أثبتوا على الله وجوب خلق ما أصلح للعباد، و مفهوم أن هذا غلط، لأنه لو كان رأيهم صحيحًا فتكون نعمة محمدٍ متساويةً لنعمة أبي لهب.

[ذكر الامار الخامس - الامار باليوم الاخر \السمعيات\]

وعذاب القبر للكافرين و لبعض عُصاةِ المؤمنين و تنعيم اهل {١٧} الطاعة في القبر و سؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية والبعث حق و الجنة حق والوزن حق {١٨} والكتاب حق والسؤال حق والحوض حق و

الصراط حق والنار حق والجنة حق وهما مخلوق[ت] ان وموجودتان {١٩} باقيتان لاتفنيان ولايَفنى أهلهما

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ {غافر ٤٦}، أشار الله أنَّ آل فرعون يعرضون على النار في القبر غدوًا و عشيًا، وعندما تقوم الساعة سوف يدخل آل فرعون في النار في أشد العذاب. و قال الله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ {غافر ١١}، ظهر أنّ في هذه الآية إشارة إلى أن الناس يموتون مرتين و يحيون مرتين، فالمرة الأولى هي الموت بعد الحياة الدنيا، و الثانية هي الموت بعد السؤال في القبر، أما الحياة الأولى فهي الدنيا و الحياة الثانية في الآخرة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين، فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أمّا أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، ثم قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: لعله يخفف عنهما، ما لم ييبسا. {صحيح البخاري ٢١٨}. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ {٧ الحج}، في هذه الآية دليل أن البعث يكون ماديًا. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَت مَوَٰزِينُهُۥ {٦} فَهُوَ فِى عِيشَة رَّاضِيَة{٧} وَأَمَّا مَن خَفَّت مَوَٰزِينُهُۥ

{٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَة﴾ {القارعة ٦-٩}، أثبتت هذه الآيات وزن الأعمال. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ {٧} فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا {٨} وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا {٩} وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ {١٠} فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا {١١} وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ {الإنسقاق ٧-١٢}، أثبتت هذه الآيات كتابة الأعمال. قال الله تعالى: ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ {العنكبوت ١٣}، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ {البقرة ٢٨٤}. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ {١ الكوثر}، معلوم أن الكوثر اسم لحوض النبي صلى الله عليه وسلم كما أشار في حديثه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة [من نهر الكوثر] من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ما بين عمّان إلى أيله، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. {صحيح مسلم ٢٣٠٠}. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال : قال النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم : "حوْضي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سواءٌ ماؤُهُ أَبيضُ مِن اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِن الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَن شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا {صحيح البخاري ٦٠٩٣, صحيح مسلم ٤٢٤٤} تبلغ الأحاديث عن الحوض إلى درجة المتواتر، كما قال ابن حجر، رحمه الله. أما في الصراط، فقال تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ {الصافات ٢٣}. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ {البقرة ٨٢}، أشار الله على بقاء الجنة بكلمة "خالدون" يعني يبقون فيها. و قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ {البينة ٦}، و هنا كذلك كلمة "خالدين" يعني يبقون في نار جهنم. فإن أهلهما يبقون فيهما، فتبقى الجنة و النار كذلك. فمَن أنكر بقاء النار بتأويل فاسد لكلمة "خلد"، فينكر بقاء الجنة أيضًا، لأن وصف اللهُ بقاءَ الجنةِ بنفس الكلمة. أما وجودهما الآن فقال الله: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ {آل عمران ١٣١}، و قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ {ال عمران ١٣٣}، و ظهر أن كلمة " أُعِدَّتْ " هي فعل ماضي، و لذلك كلاهما موجودتان. هذه كلمات المؤلف عن بقاء الجنة و النار رد للجهمية الذين زعموا بفنائهما، و استدلوا بالآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ {الحديد ٣}، بل هو آخر لكل ما حدث في هذا العالم، لأن كل ما حدث سيفنى، كما قال الله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ {٦} وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ {الرحمن ٦-٧}، و لكن: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ {٧ الحج}، سيخلق الله الناس بخلق جديد في يوم القيامة، فلذلك اسم "آخر" سينفذ قبل يوم القيامة.

العقل: تثبت السمعيات على ثبوت حق بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الأصل في السمعيات هو خلْق الله، الذي من الجائزات، و ليس هنالك قواعد وجودية لإدراكها بالنظر العقلي، إلا أنه جائز لوجوده. فإن هو جائز لوجوده فهو متعلق باختيار الخالق، و إعلان ما أختار الله للتخليق في الماضي أو في المستقبل يبلغ

بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم عبر الوحي، و لذلك لا تثبت السمعيات إلا بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم.

[\السمعيات\ تعريف الايمان والكفر]

والكبيرة لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان ولا تدخله في الكفر{٢٠} و اللهلا يغفر الشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الكبائر والصغائر ويجوز العقاب على الصغيرة{٢١} والعفو عن الكبيرة إذا لم يكن عن إستحلال والإستحلال كفر والشفاعة ثابتة للرسول والأخيار{٢٢} في حق اهل الكبائر بالمستفيض من الآخبار واهل الكبائر من المؤمنين لا يُخَلَّدون في النار والإيمان{٢٣} هو التصديق بما جاء من عند الله تعالى والإقرار به فأما الأعمال فهي طاعات فهي تتزايد في انفسها و الإيمان{٢٤} لا يزيد ولاينقص والإيمان والإسلام واحد وإذا صح للعبد التصديق والإقرار صح له أن يقول أنا مؤمن حقًا{٢٥} ولا ينبغي له أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ {النساء ٤٨}، ظهر أن الله يغفر كل ذنب إنْ كان كبيرًا أو صغيرًا إلا الشرك و الكفر، و أشار الله بالشرك لأنه إنْ أشار بكلمة "الكفر" فلا تدخل فيه المشركون الذين لا يكفرون به تمامًا، بل أثبتوا وجود الله مع وجود الشركاء، فلذلك أشار الله بكلمة "شرك" التي تحوي الكفر و الشرك و كل ما يبطل الاعتقاد الصحيح. و لذلك الكبيرة و الصغيرة لا تخرجان المسلم من الإيمان، و مرتكب الكبيرة مؤمن، كما قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ {التحريم ٨}، مفهوم أن التوبة توجب لمن عمل ذنبًا، و هو في هذا الحال مؤمن، كما أشار الله. إستحلال المعصية كفر كما جاء في القرآن: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ {المائدة ٤٤}، أي: من لا يعتقد بما أنزل الله. الشفاعة حق، كما قال الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ {محمد ١٩}، و روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" {صحح هذه الروآية الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريجه لصحيح ابن حبان ٣٨٦/١٤ برقم ٦٤٦٧}. و قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ {الأنبياء ٢٨}. و المؤمنون لا يخلدون في النار أبدًا، لأن كما ذكرنا سابقًا، فمن مات مؤمنًا فمغفرة الله جائزة له على كل ذنوبه، كما جاء في الأحاديث: عن أنس بْن مَالِكٍ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ " قَالَ اللَّهُ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي يَا

ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً " {الترمذي ٣٥٤٠ حديث حسن}. و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صريحًا: عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ {صحيح البخاري ٤٤، صحيح مسلم ١٩٣}. و الإيمان عند الله هو التصديق في القلب، كما قال الماتريدي رحمه الله: "الإيمان في الحقيقة التصديق بالقلب و لكن لما كان ما في القلب أمرًا باطنًا لا يمكن الوقوف عليه، جعل الشارع الإقرار دليلًا عليه و شرطًا لإجراء الأحكام في الدنيا حتى لو صدّق بقلبه و لم يقر بلسانه يكون مؤمنًا عند الله، لأنه تعالى عالم بما في القلوب فيعلم بتصديقه" [١٥]. و هذا في الآية: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ {المجادلة ٢٢}، ظهر أن الإيمان في القلب، أما الإقرار فهو دليل بما في القلب: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ {الحجرات ١٤}. الإيمان لا يزيد و لا ينقص، أشار الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ {الكهف ١٠٧} و ظهر فيه أن الأعمال تتزايد ولا تدخل في الإيمان، لأن الشرط (الإيمان) ليس المشروط (العمل الصالح)، فلا يزيد الإيمان بزيادة الأعمال الصالحة. أما الإيمان والإسلام واحد، فقد قال الله:

---

[١٥] شرح العقيدة الطحاوية للغزنوي ص١٢٣

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {٣٥} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ {الذاريات ٣٥-٣٦}، أي: لا إيمانًا بلا إسلام. فأما مؤمن حقًّا، قال الله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ {الأنفال ٤}، و أما كافر حقًّا: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ {النساء ١٥١}، فظهر أن الله أثبت الإيمان على المؤمنين و أثبت الكفر على الكافرين، و الشك فيه حرام، فإن قال قائل "أنا مؤمن إن شاء الله" ففيه شك في إيمانه و هو حرام عند الله.

[مسائل متعلقة بالإيمان بالله و بالقدر]

والسعيد قد يشقى والشقي قد قد يسعد والتغير يكون على السعادة {٢٦} و الشقاوة دون الإسعاد والإشقاء فهما من صفات الله تعالى ولا تغير على الله تعالى ولا على صفاته

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى {٥} وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى {٦} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى {٧} وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى {٨} وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى {٩} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ {الليل ٥-١٠}، و فيه إشارة للسعادة و الشقاوة، و كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ {الشورى ١١}، لا تتغير صفات الله كما تتغير صفات المخلوقين. و جاء في

الحديث الصحيح عند الطبراني لمّا قال أعرابي في حق الله في دعاء: "و لا تُغيرُهُ الحوادث" {المعجم الأوسط للطبراني جزء ٩/ صفحة ١٧٢/ حديث ٩٤٤٨}. و على هذا الكلام وهب له رسول الله، عليه السلام، الذهب لِحُسنِ ثنائه على الله. قال الحافظ الهيثمي في مجموع الزوائد : "رواه الطبراني في الأوسط و رجاله رجال الصحيح".

العقل: التغير يكون بتغير الحد، فإن لم يكن الحد فلن يكون التغير، لأن التغير لا يكون إلا بالتقريب أو بالتبعيد، و كلاهما زيادة الوجود أو نقصان الوجود. و زيادة الوجود لا تكون إلا بنقصان العدم، و نقصان الوجود لا يكون إلا بزيادة العدم، و بينهما حد، و كل محدود حادث كما ذكرنا سابقًا، فلذلك التغير لا يكون إلا في المخلوقات.

[دليل الإمام الخامس - الإمام بالرسل]

وإرسال {٢٧} الرسل حكمة. وقد أرسل الله رُسُلًا من البشر إلى البشر مبشرين ومنذرين ومبينين للناس ما يحتاجون إليه من {٢٨} أمور الدنيا والدين وأيَّدهم بالمعجزات الناقضات للعادات وأول الأنبياء آدم عليه السلام وآخرهم {٢٩} محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد روي بيان عددهم في بعض الأحاديث والأولى أن لا يُقتصر على عدد في {٣٠} التسمية فقد قال تعالى: منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن في ذكر العدد أن {٣١} يدخل فيهم من ليس منهم أو يخرج منهم من هو فيهم وكلهم كانوا مبلغين عن الله تعالى صادقين ناصحين [ورق ٣ ب] وأفضل الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ {النحل ٣٦}، فيه إشارة إلى أن الله بعث رسلًا لكل الناس، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ {التوبة ١٢٨}، واضح من هذا الكلام أن الرسول من البشر إلى البشر، وقال تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ {النساء ١٦٥}، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ {الإسراء ١٥}، ظهر من هذه الآيات أن حكم إرسال رسل في إقامة وجوب الإتباع للحق بما يفتحون رسل، فإن لم يبعث الله رسولًا، فيكون للناس حجة لجهلهم ولكفرهم، فإن بعث الله رسولًا لكل الناس فلم يبقى عندهم حجةً لجهلهم ولكفرهم. و بعث الله رسولًا لكل الناس، يبيّن لهم معرفة الله والحلال و الحرام. و حكمة إرسال

رسول من البشر في كونه نموذجًا للبشر في عدم تكليف ما لا يطاق. قال الله تعالى في المعجزات: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ {الإسراء ١}، وكذا آية انشقاق القمر المذكورة، وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وحَانَتْ صَلَاةُ العَصْرِ، فَالْتُمِسَ الوَضُوءُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَدَهُ في ذلكَ الإنَاءِ، فأمَرَ النَّاسَ أنْ يَتَوَضَّئُوا منه، فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِن تَحْتِ أصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حتَّى تَوَضَّئُوا مِن عِندِ آخِرِهِمْ {صحيح البخاري ٣٥٧٣}، لقد صار واضحًا الآن أن المعجزات هن في أصلها الناقضات للعادات. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ {٣٣ آل عمران}، هذه الآية تدل أن آدم كان كنوح وإبراهيم نبيًا ورسولًا. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ {٤٠ الأحزاب}، أشار الله أنه لن يكون نبيًا ولا رسولًا بعد محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الرسول أخص من النبي. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ {غافر ٧٨}، أشار الله بهذا الكلام أن العلم بعدد الرسل عند الله فقط، ويكفي لنا أن نعلم أن الله بعث لكل أمة رسولًا. وأما الصدق وسائر الصفات كالأمانة والتبليغ التي هن واجبة عليهم، فقال الله تعالى في الصدق: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ {الأنعام ٣٣}، وهذه الآية افصح دليل لصدق الرسل، لأن الكفار مع إنكارهم لم يكذّبوا صِدْقَ

محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى في التبليغ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ {النجم ٣}، و قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ {الأعراف ٦٨}، وقال تعالى في الأمانة: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ {الشعراء ١٢٥}. و دليل فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل في هذا: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر [...] {صحيح ابن ماجه ٣٤٩٦} فإذا كان سيدًا لكل بني آدم، ومنهم كل الرسل والأنبياء، فهو سيدٌ لكل رسول ونبي.

العقل: بما استدلينا سابقًا، يجب كون واجد الموجودات وهذا الواجد خلَقَ البشر وسائر المخلوقات مع اختيارهم بين البر والشر وبين المعرفة والجهل وبين الإيمان والكفر، فكلّف عليهم تكليفًا معتمدًا على هذا الاختيار، فإن تركهم بلا دليل لا من جنس النتائج العقلية، إذْ التفكر أو ترك التفكر متساويان بسبب الاختيار، فيبقى احتمال وجود الإنسان بلا تفكّر، فإنْ يكون لهم دليل ضروري، الذي ليس من جنس النتائج العقلية وهو إرسال الرسل، فلم يبقى عليهم احتمال ترك التفكّر بسبب تبليغ دعوة الرسول. ولذلك حِكمة إرسال الرسل في وجوب إتباع على ما بيّنوا الرسل على سبيل مكشوف بطريقة التحدي للكافرين. معرفة الله واجبةٌ عقلًا عندنا بما ذكرنا، لأن وجود الله واجب، ويُعرف ذلك من قواعد وجود العالم، فهي مستندة على واجب الوجود، فإدراك قواعد الوجود يكون ملازمًا لإدراك واجب الوجود، فإن يكون البشر عاقلًا، فيكون إدراك الله واجبًا له، لأن العقل هو آلة الإدراك. أما المعجزات فلقد

أوردنا الأدلة النقلية والعقلية سابقًا. ثم يجب للأنبياء خمس صفات: "الصدق" و"الأمانة" و"العصمة" و"التبليغ" و "الفطانة". أما الصدق فإن لم يكن صادقًا فيكون كاذبًا والكذب مستحيل للنبي لأنه إنْ يكون كاذبًا فلا يؤيده الله بالمعجزات ولا يختاره للنبوة، فإن أيده بالمعجزات أو أختاره للنبوة فيكون الله كاذبًا وهذا مستحيل عليه، كما بينّا سابقًا، ولذلك يجب للنبي أن يكون صادقًا في كل أقواله. هذا دليل للصفة الأولى من الصفات الواجبة للرسل ١١. ثم يجب له أن يكون أمينًا، فإن لم يكن أمينًا فيكون خائنًا والخيانة هي معصية أمر الله، فإن فعل معصيةً فتكون هذه المعصية نموذجًا للناس على إتباع المعصية، والتابعون يرتكبون المعاصي بهذا السبب، ولن يترك الله الخيانة لإتباعها، و هذا دليل للصفة الثانية من الصفات الواجبة للرسل ١٢. هذه الصفة متعلقة بصفة الرسل العصمة التي هي واجبة كذلك، فيجب لكل نبي أن يكون معصومًا لعدم فعْل المعصية لإرشاد أتْباعه إليها، وهذا دليل للصفة الثالثة من الصفات الواجبة للرسل١٣. أما التبليغ فإن لم يكن مُبَلِّغًا فيكون كاتمًا، فإن يكتم شيئًا فيكون كاذبًا كذلك، لأن الكتمان هو إخفاء جزء من الصدق، والصدق بلا جزئه يصبح كذبًا. هذا دليل للصفة الرابعة من الصفات الواجبة للرسل ١٤. ثم يجب أن يكون فطِينًا، لأن الفَطانَة هي كمال العقل الذي هو أهم آلة معرفة الله، فإن لم يكن فطِينًا فيكون بليدًا، وإن كان بليدًا فيكون مخطئًا والخطأ نوع من الكذب، ولن يختار الله كاذبًا للنبوة. وهذا دليل للصفة الخامسة من الصفات الواجبة للرسل ١٥. وهذه هي الصفات الخمس الواجبة للرسل عليهم السلام. ويجوز لهم كل أفعال

البشرية سِوى أضداد الصفات الواجبة المذكورة. وأما فضل محمدٍ صلى الله عليه وسلم فهو بأنه النبي الآخِر، فإن لم يكن بعده نبيًا ولا رسولًا فيجب أن تكون رسالته مكَمَّلةً لكل الناس وفي كل الزمان، والحمد لله.

[ذكر الايمان الثاني - الايمان بالملائكة السماء]

والملائكة عباد الله تعالى والعاملون بأمره ولا يُصفون بذكورة ولا أنوثة

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ {النساء ١٣٦}، ذكر الله كل أركان الإيمان ومنها إيمان بالملائكة وهو فرض، مثل سائر الأركان المذكورة، وكما ذكرنا سابقًا الإيمان بالقدر الذي ورد في القرآن، كذلك أحد من أركان الإيمان لأنه متعلق بالإيمان بالله و أفعاله، وشرح ذلك في حديث متواتر و هو حديث جبريل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "قال: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقتَ" {صحيح مسلم ٨}. وقال الله:

﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ {الأنبياء ٢٧}، المؤلف يعتمد على هذه الآية، وهذا شرط مهم في معرفة الملائكة، وليس عندهم استطاعة للمعصية بل استطاعة لطاعة الله فقط، ولا يستطيعون أن يفعلوا المعصية كما قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ {التحريم ٦}، وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ {الإسراء ٤٠}، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ {الزخرف ١٩}، أنكر الله أن الملائكة هم إناث لا بقول أنهم ذكور، بل أنهم عباد، ولذلك مَن وصفهم بالأنوثة فهو كافر ومَن وصفهم بالذكورة فهو فاسق، لأنه يكذِّب القرآن حيث سماهم عبادًا.

العقل: كما ذكرنا سابقًا، كل ما لم يتعلق بقواعد الوجود، التي هن من الجائزات، هو في أصله متعلق بأمر الله و اختياره، فما أختار الله للتخليق يحدِث، وما لم يختار الله للتخليق لا يحدِث. فإن كان وجوده جائزًا فلا سبيل لمعرفة وجوده في الماضي أو في المستقبل إلا بإخبار اللهِ، الذي يخبر ما أختار للتخليق بالوحي المنزل على رُسُله عليهم السلام. ولذلك السمعيات تعتمد على خبر الرسول ولا على العقل.

[ذكر الامام البالب - الامام بالكسب

\السمعيات\]

{٢} ولله تعالى كتب أنزلها على أنبيائه بيَّن فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ {النساء ١٣٦}، ثم ذكر الله بعض الكتب: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ {١٩ الأعلى}، و منهم: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ {٤٨ آل عمران}، و منهم: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ {١٦٣ النساء}، و منهم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ {١٨٥ البقرة}. أما الوعد: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ {١١١ التوبة}، والوعيد: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ {ق ٤٥}.

العقل: كما ذكرنا سابقًا: السمعيات تعتمد في استدلالها على ثبوت بعث الرسول وعلى وجوب وجود الله عقلًا. والمفهوم إنْ بعث الله رسولًا فيجب أن يكون له كتاب مؤلف مما أوحى الله عليه والذي فيه رسالة الله للناس.

[سابع السمعيات الباء بالبعل]

والمعراج لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم {٣} في اليقظة بشخصه إلى السماء ثم إلى ما شاء الله تعالى من العُلي حق

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى في الإسراء: ﴿سُبحَٰنَ ٱلَّذِي أَسرَىٰ بِعَبدِهِۦ لَيلا مِّنَ ٱلمَسجِدِ ٱلحَرَامِ إِلَى ٱلمَسجِدِ ٱلأَقصَا ٱلَّذِي بَٰرَكنَا حَولَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِن ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ﴾ {الإسراء ١}، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، وكذلك العبد لأنه لا يعبد إلا بجوارح الجسد ، قال الله تعالى في المعراج إلى السماء: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى {١٣} عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى {١٤} عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى {١٥} إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى {١٦} ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى {١٧} لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾ {النجم ١٣-١٨}، وكان في اليقظة وبشخصه لا بروحه فقط بل بجسده أيضًا على ما بينّا من قبل.

وكرامات الأولياء حق فتظهر الكرامة على طريق {٤} نقض العادة لِلوَلِي من قطع المسافة البعيدة في المُدة القليلة وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة {٥} والمشي على الماء وفي أهواء وكلام الجماد

والعجماء واندفاع متواجه البلاء وكهآية المهم من الأعداء وغير ذلك من الأشياء {٦} ويكون ذلك معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أُمته لأنه يظهر بها أنه ولي ولن يكون ولياً إلا وأن يكون {٧} مُحقًا في ديانته وديانته إقرار برسالة رسوله

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {٦٢} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ {يونس ٦٢-٦٣}، أثبت الله وجود الأولياء، قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلم مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أَن يَرتَدَّ إِلَيكَ طَرفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُستَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضلِ رَبِّي لِيَبلُوَنِي أَأَشكُرُ أَم أَكفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشكُرُ لِنَفسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّ كَرِيم﴾ {النمل ٤٠}، ذكر الله أن أحد أصحاب سليمان ظهرت له كرامة والتي هي نقض العادة، وفي طرفة واحدة نقل العرش من اليَمَنِ إلى الشام. ثم قال الله أيضًا: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ {ال عمران ٣٧}، واضح من هذه الآية أن الله رزقها بفواكه شتوية بالصيف وبالعكس، كما روي في الأخبار. أواخر كلمات المؤلف تدل على أن الكرامة للوَلي لا تظهر إلا بسبب اتِّباعه للرسول الحقيقي

في صحة الاعتقاد و العمل به. والكرامة تثبت صحة بعث الرسول المُتَّبَع، كما جاء في الآية المذكورة من سورة النمل التي أشار الله على ذلك بقوله: "الَّذِى عِندَهُۥ عِلم مِّنَ ٱلكِتَبِ" ومع هذا العلم كان تابعًا لسليمان، الذي بعثته كانت صحيحةً، يعني كان رسولًا حقيقيًا. هذان الشرطان المذكوران للولي يدلّان على وجوب كون الوَلِي على صحة الاعتقاد وتابعًا لرسول الله الحقيقي.

وأفضل البشر بعد الأنبياء أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق {٨} ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى رضي الله عنهم وخلافتهم ثابتة على هذا الترتيب أيضًا والخلافة ثلاثون سنة {٩} ثم بعدها ملكٌ وإمارةٌ

وجه الاستدلال:

النقل: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وجَعُهُ قيلَ له في الصَّلَاةِ، فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ قَالَتْ عَائِشَةُ: إنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إذَا قَرَأَ غَلَبَهُ البُكَاءُ، قَالَ: مُرُوهُ فيُصَلِّي فَعَاوَدَتْهُ، قَالَ: مُرُوهُ فيُصَلِّي، إنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ {صحيح البخاري ٦٨٢، صحيح مسلم ٤١٨} فإذا الصلاة هي أهم أمر من أُمور الدين، فإمامة أبي بكر تكون مقدمةً لإمامة سائر الأصحاب بما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته. وكلام المؤلف في

فضل أبي بكر رضي الله عنه على سائر الناس محتملًا يعتمد على هذه الرواية: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْشِي أَمَامَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: أَتَمْشِي أَمَامَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ؟ مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ خَيْرٍ، أَوْ قَالَ: أَفْضَلَ، مِنْ أَبِي بَكْرٍ {أحمد في فضائل الصحابة، ٦٣٥}. و دليل آخر عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعدّ رجالاً {صحيح البخاري ٣٦٦٢، صحيح مسلم ٢٣٨٤}، ثم نستدل بدليل آخر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اقتدوا باللّذينَ من بعْدِي أبي بكرٍ وعمرَ {سنن الترمذي، ٣٦٦٢ حديث حسن} و في رواية أخرى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنّي لا أدري ما قَدْرُ بقائي فيكُم فاقتَدوا باللَّذَينِ مِن بعدي وأشارَ إلى أبي بَكرٍ وعمرَ واهتَدُوا بِهدْيِ عمَّارٍ وما حدَّثَكم ابنُ مسعودٍ فصدِّقوهُ {صحيح الترمذي، ٣٧٩٩}. أو نضرب مثالًا آخر، عن أبي جحيفة: أن عليًا رضي الله عنه صعد المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، والثاني عمر رضي الله عنه، وقال يجعل الله تعالى الخير حيث أحب {أحمد في مسنده ٨٣٩ ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: "إسناده قوي"}. والخلاصة: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه

وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم {صحيح البخاري ٣٦٥٥}، و فيه نقل إجماع الصحابة على قوله "كنا نخير بين الناس" يعني كل الصحابة خيّروا هؤلاء الخلفاء على الترتيب المذكور، وهذا أقوى الحجج لأنه إجماع الصحابة، فأي دليل نظري أقوى؟ وهكذا الروايات التالية: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ {صحيح البخاري ٣٦٩٧}، و كذلك: "كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ: " أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ" {ابو داود ٤٦٢٨}، وأيضا: "كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا يُنْكِرُهُ" {أحمد في الفضائل ٨٥٧}، هذا كله مع إجماع الصحابة ورضاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، تدل أيضًا على خلافة عثمان بن عفان بعد خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم. ثم نستدل على خلافة علي رضي الله عنه: عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: خِلافةُ النُّبوَّةِ ثَلاثونَ سَنةً، ثمَّ يُؤتي اللهُ الملكَ أو مُلكَه مَن يشاءُ، قال سعيدٌ: قال لي سَفينةُ: أمسِكْ عليكَ: أبو بكرٍ سنتين، وعمرُ عشرًا، وعثمانُ اثنتي عشرةَ، وعليٌّ كذا، قال سعيدٌ: قلتُ لسفينةَ: إنَّ هؤلاء يزعمون أنَّ عليًّا لم يكن بخليفةٍ، قال: كذبَتْ أستاهُ بني الزرقاءِ – يعني: بني مرْوانَ {صحيح أبي داود ٤٦٤٦}، وكذا عنه روآية

أخرى: "الخلافةُ في أمَّتي ثلاثونَ سنةً، ثمَّ ملكًا بعدَ ذلكَ. ثمَّ قالَ لي سفينةُ: أمسك خلافةَ أبي بكرٍ، وخلافةَ عمرَ، وخلافةَ عثمانَ، وأمسك خلافةَ عليٍّ رضي اللهُ تعالى عنهم، قالَ: فوجدناها ثلاثينَ سنةً. ثمَّ نظرتُ بعدَ ذلكَ في الخلفاءِ فلم أجدْهُ يتَّفقُ لهم ثلاثونَ. فقلتُ لسعيدٍ: أينَ لقيتَ سفينةَ؟ قالَ: لقيتُهُ ببطنِ نخلةَ في زمنِ الحجَّاجِ، فأقمتُ عندهُ ثمانِ ليالٍ أسألُهُ عن أحاديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ قالَ قلتُ لهُ ما اسمُكَ؟ قالَ: ما أنا بمخبرِكَ. سمَّاني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ سفينة قلتُ: ولمَ سمَّاكَ سفينةَ؟ قالَ: خرجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ ومعهُ أصحابُهُ فثقلَ عليهم متاعُهم فقالَ لي: ابسط كساءَكَ فبسطتُهُ. فجعلوا فيهِ متاعَهم ثمَّ حملوهُ عليَّ فقالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: احمل فإنَّما أنتَ سفينةُ فلو حملتُ يومئذٍ وقرَ بعيرٍ أو بعيرينِ أو ثلاثةٍ أو أربعةٍ أو خمسةٍ أو ستَّةٍ أو سبعةٍ ما ثقلَ عليَّ إلَّا أن يجفو". {الصحيح المسند للوادعي ٤٤٠}.

واستدل أبو حنيفة رضي الله عنه في "الوصية" على هذا الترتيب بالآيات:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ {١٠} أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ {١١} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ {الواقعة ١٠-١٢}، وفيها قاعدة عامة ومتعلقة للخلافة ولتفضيل السلف على الخلف. بالنسبة حدود الخلافة روى أبو داود بإسناده إلى سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء {رواه أبو داود ٤٦٤٦، والطبراني ٦٤٥٩}، وعند الترمذي: الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك {الترمذي ٢٢٢٦، وأحمد ٢١٩٧٨، والنسائي في السنن الكبرى ٨١٥٥.

قال الترمذي، وابن حجر في موافقة الخبر الخبر ج١ ص١٤١: حسن}. هذه الرويات تدل على أنّ الخلافة انتهت بعد علي، رضي الله عنه. وسُميتْ الملوك والأمراء والأئمة بعده بكلمة "الخليفة" بطريق مجاز، لأن يُطلق "الخليفة" حقيقةً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي فقط، رضي الله عنهم.

والمسلمون لا بد لهم من إمامهم يقوم بتنفيذ أحكامهم وإقامة حدودهم وسد ثغورهم وتجهيز جيوشهم {١٠} وأخذ صدقاتهم وقهر المتغلبة والمتلصصة وقُطّاع الطريق وإقامة الجمع والأعياد وقطع المنازعات الواقعة بين العباد{١١} وقبول الشهادات القائمة على الحقوق وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم. ثم ينبغي أن يكون الإمام ظاهرًا ولا مختفياً منتظرًا ويكون من قريش ولا يجوز من غيرهم ولا يختص ببني هاشم وأولاد علي رضي الله عنهم {١٢} ولا يُشترط أن يكون معصومًا ولا أن يكون أفضل من أهل زمانه ويُشترط أن يكون من أهل الوِلاية سائساً قادراً على تنفيذ الأحكام وحفظ حدود دار الإسلام وإنصاف المظلوم من الظالم ولا ينعزل الإمام بالفسق.

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ {النساء ٥٩}، أوجب الله على المؤمنين الاقتداء بإمام المسلمين، أي بخليفتهم، بأمره وسُنة خلفائه الراشدين. ثم ذكر المؤلف أنواع الأمور تحت حكومة الإمام. ثم يجب أن يكون الإمام ظاهرًا لا مختفيًا منتظرًا، كما كان الرسول الكريم وخلفاؤه الراشدون. ثم الخلافة لقريش: عن جابر بن سمورة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يَزالُ الإسلامُ عَزيزًا إلى اثنَيْ عَشَرَ خَليفةً. ثم قالَ كَلِمَةً خَفِيَّةً لم أفهَمْها، قالَ: قُلتُ لِأبي: ما قالَ؟ قالَ: كُلُّهم مِن قُرَيشٍ {أحمد ٢١٠٢٠، حديث صحيح}. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب البيت ونحن فيه فقال: الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقًا ولكم عليهم حقًا مثل ذلك، ما إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين {أحمد ١٢٣٢٩، النسائي في السنن الكبرى ٥٩٤٢، الطبراني ٧٢٥، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ج٥ ص١٩٥: رجال أحمد ثقات، وصححه العراقي في "محجة القرب" ص ١٨٩}. فإن كانت الخلافة في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثابتة، فيكون ثابتًا عدم شرط كون الإمام هاشميًا أو علويًا، لأن الخلفاء الراشدون ما كانوا من بني هاشم أو من أولاد علي رضي الله عنه، وإنما كانوا من قريش. أما شرط العصمة فهو غلط، لأن الخلفاء الأربعة ما كانوا معصومين، والدليل قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

وُسْعَهَا﴾ {البقرة ٢٨٦}، فشرط العصمة لغير النبي يؤدي إلى تكليف ما لا يطاق وهو مخالف للنقل و فاسدٌ عقلًا بما ذكرنا سابقًا. وشرط الوِلاية: أن يكون مسلمًا، حراً، ذكرًا، عاقلًا وبالغًا لأن الخلفاء الأربعة كلهم كانوا على هذه الشروط، ولذلك كانوا سائسين و قادرين، إلى آخر ما ذكر المؤلف رضي الله عنه. ولا ينعزل الإمام بالفسق كما قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ {النساء ١٤١}، ولا سبيلًا أعظم من سبيل الإمامة على المؤمنين، فلا ينعَزِل الإمام إلا بالرِدَّة. وعلى ذلك رواية عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه قال: بايعنا أي: رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان {صحيح البخاري ٧٠٥٥، صحيح مسلم ١٨٤٠}.

ويجوز الصلاة خلف {١٣} كل بر وفاجر ويُصلى على كل بر وفاجر

وجه الاستدلال:

النقل: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كَتَبَ عبدُ المَلِكِ إلى الحَجَّاجِ: أنْ لا يُخَالِفَ ابْنَ عُمَرَ في الحَجِّ، فَجَاءَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، وأَنَا معهُ يَومَ عَرَفَةَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَصَاحَ عِنْدَ سُرَادِقِ الحَجَّاجِ، فَخَرَجَ وعليه مِلْحَفَةٌ مُعَصْفَرَةٌ فَقالَ: ما لكَ يا أبَا عبدِ الرَّحْمَنِ فَقالَ: الرَّوَاحَ إنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ، قالَ: هذِه السَّاعَةَ؟ قالَ:

نَعَمْ، قالَ: فانْظِرْنِي حتَّى أُفِيضَ علَى رَأْسِي ثُمَّ أخْرُجُ، فَنَزَلَ حتَّى خَرَجَ الحَجَّاجُ فَسَارَ بَيْنِي وبيْنَ أبِي فَقُلتُ: إنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّـنَّةَ فَاقْصُرِ الخُطْبَةَ وعَجِّلِ الوُقُوفَ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إلى عبدِ اللَّهِ فَلَمَّا رَأَى ذلكَ عبدُ اللَّهِ قالَ: صَدَقَ {صحيح البخاري ١٦٦٠}، وكذا عن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ جاءَ إلي الحجَّاجِ بنِ يوسفَ يومَ عرفةَ حينَ زالتِ الشَّمسُ وأنا معَهُ فقالَ الرَّواحَ إن كنتَ تريدُ السُّـنَّة. فقالَ هذِهِ السَّاعةَ قالَ نعم. قالَ سالمٌ فقلتُ للحجَّاجِ إن كنتَ تريدُ أن تصيبَ اليومَ السُّـنَّةَ فاقصرِ الخطبةَ وعجِّلِ الصَّلاة. فقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ : صدَقَ {صحيح النسائي ٣٠٠٩}. و ظهر فيه أن ابن عمر رضي الله عنه صلى خلف الحجاج ومعلوم أنه كان فاسقًا وفاجرًا. وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال لي رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: كيفَ أنتَ إذا كانتْ عليكم أمراءُ يؤخِّرون الصَّلاةَ عن وقتِها، أو يُميتون الصَّلاةَ عن وقتها، قال: قلت: فمَا تأمُرني. قال: صلِّ الصَّلاةَ لوقتِها، فإنْ أدركتَها معهم فصلِّ فإنَّها لك نافلةٌ {صحيح مسلم ٦٤٨}. وفيه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بجواز الصلاة خلف مَن يخالف السنة. وروي عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أنه قال: صلّوا خلفَ كل برٍّ وفاجر {البيهقي ٦٦٢٣، والدارقطني ٧}. والمراد منه أن هذا خلاف للخوارج والمعتزلة حيث كفّروا اهلَ الكبائر، وأهل السنة لا يكفِّرون أهل الكبائر. وفي ترْك الصلاة خلف الفاجر إشارة لِتكفير مستَتِر، و الحكم نفسه على صلاة الجنازة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيكُمْ خَلْفَ كُلِّ مُسْلِمٍ

بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ، وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ {السنن الكبير للبيهقي ٤٩٣٤}.

ويكف عن ذكر الصحابة إلا بخير ونشهد بالجنة للعشرة الذين بشرهم النبي عليهم {١٣} السلام بالجنة

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ {الفتح ٢٩}، ومدح الله كل الصحابة بلا تفريق، فإن كان منهم منافقين لَما مدحهم الله، فمن يخالف هذا فهو ينسب إلى الله الكذب. وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ {الحشر ٨}. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه {صحيح البخاري ٣٦٧٣، ومسلم ٢٥٤١}. وفي رواية عنه: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف

شيء فسبه خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه {صحيح مسلم ٢٥٤١}. عن أنس بن مالك رضي الله عنه: عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن بن عوف تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فقال: دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهباً أو مثل الجبال ذهباً لما بلغتم أعمالهم {أحمد في مسنده ١٣٨٣٩}. ثم العشرة المبشرة: عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة {الترمذي ٣٧٤٧، النسائي ٨١٩٣، ٨١٩٤، أحمد في مسنده ١٦٧٥ وإسناده صحيح، السيوطي في الجامع الصغير ٧٣ و قال عنه: صحيح}، وتبلغ طرق حديث العشرة المبشرين إلى أكثر من ثلاث عشرة طريقًا.

ويُرى المسح على الخفين في الحضر والسفر ولا نحرِّم نبيذ الجر [التمر]

وجه الاستدلال:

النقل: روي: بال جَريرُ بنُ عبدِ اللهِ ثمَّ توضَّأ ومسَح على خُفَّيْهِ فقيل له: أتفعَلُ هذا ؟

فقال: وما يمنَعُني وقد رأَيْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يفعَلُه ؟ قال إبراهيمُ: فكان يُعجِبُهم حديثُ جَريرٍ لأنَّ إسلامَه كان بعدَ نزولِ المائدةِ {صحيح ابن حبان ١٣٣٧، حديث صحيح}، هذا دليل على أن أمر مسح الخفين جاء بعد نزول آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ {المائدة ٦}، و فيه جواز مسح الخفين لأنه إن كان قبل نزول هذه الآية لَكان منسوخًا. وتبلغ الأحاديث إلى درجة التواتر، كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه: "نقر بأن المسح على الخفين واجب للمقيم يومًا وليلةً وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها لأن الحديث ورد هكذا فمن أنكره فإنه يُخشى عليه الكفر لأنه قريب من الخبر المتواتر" [١٦]، وقال الكرخي: "من أنكر المسح على الخفين يخشى عليه الكفر" [١٧]. فأما المسح على الجوربين أو النعلين، فالأحاديث عنه لا تبلغ إلى درجة التواتر، ولذلك لن يكون متساويًا للآية من سورة المائدة في أمر غسل الرِجْلين أو إلى أحاديث المسح على الخفين. معلوم أنه يشترط في الآية أن تُغسل الرِجْلين، فيمكن أن يُستعمل المسحَ بناءً على الخبر المتواتر المتساوي للآية في صحته، فمن لم يتوضأ على الأمر القرآني أو لم يمسح على الخفين بناءً على الخبر المتواتر المتساوي للآية في صحته، فيُخشى أنه لم يفعل فرضًا، وطهارته غير صحيحة. أما نبيذ التمر فيجب أن لا يكون مسكِرًا، و نضرب بعدة الآحادث: "عن

---

[١٦] كتاب الوصية

[١٧] البناية شرح الهدآية ج١ ص١٣

عبد الله بن مغفل قال: "أنا شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى عن نبيذ الجر، وأنا شهدته حين رخص فيه، وقال: "اجتنبوا المسكر". رواه أحمد ورجاله ثقات، وفي أبي جعفر الرازي كلام لا يضر وهو ثقة، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط.

وعن يحيى بن غسان عن أبيه قال: "كان أبي في الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد القيس، فنهاهم عن هذه الأوعية، قال: فانجمنا ثم أتيناه من العام المقبل فقلنا: يا رسول الله إنك نهيتنا عن هذه الأوعية فانجمنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انتبذوا فيما بدا لكم، ولا تشربوا مسكراً، من شاء أوكأ سقاءه على إثم". رواه أحمد.

وعن صحار العبدي قال: "استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن لي في جرة أنتبذ فيها، فرخص لي فيها أو أذن لي فيها". رواه أحمد والبزار والطبراني وفيه عبد الرحمن بن صحّار ذكره ابن أبي حاتم ولم يوثقه ولم يجرحه. والضحاك بن يسار وثقه أبو حاتم وابن حبان وقال ابن معين: يضعفه البصريون، وبقية رجاله ثقات.

وعن الأشج العصري أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم في رفقة من عبد القيس ليزوروه، فأقبلوا فلما قدموا رفع لهم النبي صلى الله عليه وسلم، فأناخوا ركابهم، وابتدره القوم ولم يلبسوا إلا ثياب سفرهم، وأقام العصري يعقل ركاب أصحابه وبعيره ثم أخرج ثيابه عن عيبته وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن فيك لخلقين يحبهما

الله ورسوله" قال: ما هما يا رسول الله؟ قال: "الأناة والحلم". قال: شيء جبلت عليه أو شيء من أتخلّقه؟ قال: "لا بل جبلت عليه" قال: الحمد لله،قال: "معشر عبد القيس ما لي أرى وجوهكم قد تغيرت؟" قالوا: يا نبي الله نحن بأرض وخمة، وكنا نتخذ من هذه الأنبذة ما يقطع اللحمان في بطوننا، فلما نهيتنا عن الظروف فذلك الذي ترى في وجوهنا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الظروف لا تحل ولا تحرم ولكن كل مسكر حرام، وليس أن تجلسوا فتشربوا حتى إذا ثملت العروق تفاخرتم فوثب الرجل على ابن عمه فضربه بالسيف فتركه أعرج". قال: وهو يومئذ في القوم الذي أصابه ذلك. رواه أبو يعلى وفيه المثنى بن ماوى أبو المنازل ذكره ابن أبي حاتم ولم يضعفه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات.

وعن أبي مالك الأشجعي قال: كان ينبذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تور (إناء) من حجارة. رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وعن عيسى بن عبد الرحمن السلمي قال: سألت الحسن عن النبيذ فقال: لا تشرب إلا في شيء موكأ فقال ابنه: "أليس قد بلغنا كان ابن مسعود يشرب عندكم في الجر الأخضر؟ قال: بلى". رواه الطبراني ورجاله ثقات".[١٨]

---

[١٨] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أحاديث رقم: ٨١٤٠، ٨١٤٤، ٨١٤٧، ٨١٤٨، ٨١٥٢، ٨١٥٦

ولا يبلغ ولي درجة الأنبياء

وجه الاستدلال:

النقل: كما أوردنا حديثًا: "مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ خَيْرٌ، أَوْ قَالَ: أَفْضَلَ، مِنْ أَبِي بَكْرٍ" {أحمد في فضائل الصحابة، ٦٣٥}، واضح أنه ليس شخصًا بعد الأنبياء والرسل أفضل من أبي بكر، رضي الله عنه، فكل شخص، سواء كان وليًا أو آثِمًا، يكون تحت درجة الأنبياء والرسل.

ولا يصل العبد {١٥} إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهيُ

وجه الاستدلال:

النقل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ {صحيح مسلم ٤٢٢٣}، فإنْ محمد صلى الله عليه وسلم سيد بني آدم فهو أفضل من سائر الناس، ومع ذلك ما ترك شيئًا من الفرائض ولا من الواجبات، ولا من السنن ولا من النوافل حتى مات، وثبت بذلك عدم إسقاط الأمر والنهي في أية درجةٍ.

والنصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد وكفر{١٦} ورد النصوص كفر واستحلال المعصية كفر والإستهانة بها كفر والإستهزاء بالشريعة كفر

وجه الاستدلال:

النقل: كما بيّنّا سابقًا في مِيْزَة الأيات المتشابهات، فيبقى دون المتشابه الآيات المحكمات التي هن واضحات كما قال الله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ {الحج ١٦}، ولن يكون بينًا إذا كانت معانيه مستورة في معنىً باطن، ومن زعم بالعكس فهو ينكر نص الآية المذكورة. رد النصوص واستحلال المعصية كفر بناءً على الآية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ {المائدة ٤٤}، أما الإستهانة والاستهزاء فهما على الآية: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ {٦٥} لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم﴾ {التوبة ٦٥-٦٦}، و يجب أن نعلم أنّ العمل لا يدخل في الإيمان، فهذه الأعمال كالاستهزاء أو سجدة لصنم و غيرهم فهي أمارات عدم الإيمان في القلب، التي تدل أنّ فاعلها كفَر في قلبه. فإنْ فعَل بدون كفْر فقد عصى و لم يخرج من المؤمنين. وبالعكس: لا يصبح كافر بقلبه مؤمنًا بفعل الصلاة أو بالإتيان بالشهدتين، ولكن يصبح منافقًا.

واليأس من الله كفر{١٧} والأمن من الله كفر

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ {يوسف ٨٧}، وقال تعالى: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ {الأعراف ٩٩}.

وتصديق الكاهن بما يخبر عن الغيب كفر

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا {٢٦} إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ {الجن ٢٦-٢٧}، الكاهن والعَرَّاف ليسا من الرسل، ولذلك لن يظهر الله علم الغيب للكاهن ولا للعرّاف، والتصديق بما يقولون هو إنكار نص الآية المذكورة. وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليس منا من تطيَّرَ أو تُطيِّر له أو تَكَهَّن أو تُكهِّن له أو سَحَر أو سُحِر له ومَن عقد عقدةً أو قال عقدَ عقدةً ومَن أتَى كاهنًا فصدَّقه بما قال فقد كفر بما أُنزِلَ على محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم {البزار ٣٥٧٨، مجمع الزوائد و رجاله ثقات}.

والمعدوم ليس بشيء

وجه الاستدلال:

النقل مع العقل: فيه رد للمعتزلة حيث زعموا بأن المعدوم الممكن ثابت في الخارج، بل الشيئية ترادف الوجود و الثبوت، والعدم يرادف النفي. وهذا كما قال الله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ {يس ٨٢}، حرف "ف" علامة التبعية لأنها جواب الشرط، وفيه إشارة إلى أن أي شيء قبل إحداثه غير مكوَّن، أي — ليس بشيء.

وفي دعاء الأحياء للأموات وصدقتهم {١٨} عنهم نفع لهم والله تعالى يجيب الدعوات ويقضي الحاجات

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ {الحشر ١٠}، في هذه الآية الدعاء للأموات، في مدْحِ الله لهم دليل على أن الدعاء لهم مستجاب، كما قال الله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ {غافر ٦٠}. أما الصدقات: فعن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن أمي افتلتت نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها. قال: نَعَمْ {صحيح البخاري ١٣٨٨، صحيح مسلم ١٠٠٤}.

وما أخبر به النبي عليه السلام من أشراط الساعة من خروج {١٩} الدجال ودابّة الأرض ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام من السماء وطلوع الشمس من مغربها هو حق

وجه الاستدلال:

النقل: عن علامات الساعة، في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثٌ إذا خَرَجْنَ لا يَنفعُ نفسًا إيمانُها لمْ تَكُنْ آمَنَتْ من قبلُ أو كَسبَتْ في إيمانِها خيرًا: طُلوعُ الشمسِ من مَغرِبِها، والدَّجَّالُ، ودابَّةُ الأرضِ {صحيح مسلم ١٥٨}، و ذكر يأجوج و مأجوج في الآية: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ {الأنبياء ٩٦}، و عن نزول عيسى عليه السلام: عن كيسان بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزلُ عيسَى بنُ مريمَ عند المنارةِ البيضاءِ بشرقيِّ دمشقَ {أبو داود ٤٣٢١، الإستعاب ج٣ ص٣٨٧، إسناده صالح}. ثم يجب أن يعلم أن هذه العلامات ثابتة بكثرة الروايات التي تبلغ إلى درجة التواتر، وذكر بعض علمائنا أن الخبر عن مجئ المهدي كذلك يبلغ إلى عدد كبير.

والمجتهد {٢٠} قد يصيب وقد يخطئ

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ {الأنبياء ٧٩}، لو كان كل اجتهاد في العقليات أو الشرعيات أو الأصليات أو الفرعيات مصيب، لمَا ذكر الله هذا تخصيص في فهم سليمان. و دليل آخر: عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا حَكَمَ الحاكِمُ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أصابَ فَلَهُ أجْرانِ، وإذا حَكَمَ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أخْطَأَ فَلَهُ أجْرٌ {صحيح البخاري ٧٣٥٢}.

ورسل البشر افضل من رسل الملائكة ورسل الملائكة افضل من عامة البشر وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة.

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ {ال عمران ٣٣}، ظهر أن "العالمين" يشمل كل المخلوقات فمنهم الملائكة و الجن وسائر المخلوقات، ولذلك أبناء آدم أفضل منهم. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

{البقرة ٣٤}، وأمر الله للملائكة أن يسجدوا لآدم تفضيلاً له. ثم يجب أن يعلم أن الله خلق ثلاثة انواع من المخلوقات العقلية، وهم: الملائكة والجن والإنس. فالملائكة ليس عندهم الاستطاع للمعصية كما قال سبحانه: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ {التحريم ٦}، ثم خلق الله الجن وعندهم الاختيار بين الخير والشر وبين الإيمان والكفر كما قال الله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ {الجن ١١}، كذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ {الجن ١٤}، ولكن الجن هم أرواح بلا جسد مع ملذّته و ألمه، ولذلك اختيارهم لا يثقّل بهما، خلافًا للإنس لأنه صاحب الاختيار مع جسده المادّي مع ملذّته و ألمه. واختياره لا يسهّل بِعَدْمهما، وهنا فائدة: الاختيار المطلق متعلق بالملذة و بالألم يوجد عند الإنسان فقط، ولذلك السؤال "لماذا خَلَقَ اللهُ للعبدِ فِعْلًا سيئًا؟" غلط. لأنه إنْ لم يخلق للعبد فعلًا سيئًا فيكون العبد مجبورًا في اختياره كالملائكة الذين عندهم أفعال الطاعات، أو إنْ تكن أفعال العباد غير متلازمة بالملذة أو بالألم فيكون اختيارهم في المدار الذهني فقط، كما هو اختيار الجن. و محتملاً فضلُ البشر في ذلك، و الله أعلم.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أتممته في يوم الخميس ٢٨ جمادى الأولى من سنة ١٤٤٤ هـ بعد صلاة العصر.

أبو صفية مقصد أويزوف المروزي الماتريدي الحنفي

فهرست الكتاب

ركن الإيمان الأول**********٣٢

ركن الإيمان الثاني**********٧٠

ركن الإيمان الثالث**********٧٢

ركن الإيمان الرابع**********٦٥

ركن الإيمان الخامس**********٥٧

ركن الإيمان السادس**********٥٠